الرسالة الأولى

من مصادر التاريخ الإسلامي

مذكرة علميـــة انتقادية

بقـلم

دكتور اسمعيل أحمد أدهم

عضو أكاديمية العلوم الروسية
وكيل المعهد الروسي للدراسات الشرقية

يبحث فى ماهية الحديث والرواية ونشأتها وحلقات تطورهما من عصر الرسول إلى القرن الثالث الهجرى ويخرج من ذلك بأدلة قاطعة على انتحال الأحاديث والأسانيد

فصل من كتاب « حياة محمد ونشأة الاسلام »

الطبعة الأولى

مطبعة صلاح الدين الكبرى

الإهداء

إلى أحرار الفكر

إلى الذين حرّروا الفكر من قيوده، وجاهدوا فى سبيل تحرير العقل الانسانى من تأثير الأساطير الدينية والمزاعم الوطنية ؛ والذين أخذوا بيد الجماعات الانسانية إلى الحياة الصحيحة ؛ أهدى هذا الكتيّب لعلّهم يجدون فيه نظرة حرّة بعيدة عن تعصب الدين وجموده !

اسماعيل احمد أدهم

المقدمة

لقد اهتزت أوتار العقل البشرى عند ما ظهر الرسول محمد فى فلوات جزيرة العرب يدعو الملأ إلى رسالته العالية « الاسلام » ؛ وقد كان الاسلام بتشريعه ومبادئه نتاجا لجهد العقول من عصر المسيحية إلى القرن الخامس الميلادى ، حيث تمخض العقل الدينى فى فيافى الجزيرة عن الدين الاسلامى .

ظهر الاسلام فى مكة ولم يدم طويلا حتى انتشر فى جزيرة العرب ، ثم لم يلبث لعوامل إجتماعية وأخرى إقتصادية أن غزا سوريا وما بين النهرين ؛ ولم يأت أواخر القرن الأول الهجرى حتى كان الاسلام قد ملك ناصية المشرق من الصين إلى الاطلنطيق . وكانت حركة مدّ الاسلام من الحركات التاريخية الفاصلة بين عهدين فى تاريخ المشرق فى فترة القرون الوسطى ؛ إذحفظ الاسلام بمدنيته التى خلقها تراث الانسانية خرجت به من جهادها الطويل فى فترة تلبد فيها جوّ المعرفة وتحجرت خلالها أسباب النشوء عن الأخذ بالعقل الانسانى إلى سلم الارتقاء .

فى ذلك الوقت الذى أغمض فيه العالم جفونه وذهب فى سبات عميق ؛ وأخذت غيوم التعصب الحالكة مع سحب الجهالة السوداء تتجمع فى سماء المعرفة ؛ أخذت الحياة تدب فى موات الشرق ؛ فى الشرق الأقصى لتتمخض عن حضارة الصين الزاهرة ؛ وفى الشرق الأدنى لتتولدحضارة الاسلام الزاهرة .

. . .

أيقظ الاسلام العقول الجامدة من سباتها وولد فى تيار العقل الانسانى مجرى جديداً ولم يمض القليل حتى أخذ التاريخ يرى فى ربوع الشرق الأدنى مدنية خالدة بأثارها إلى اليوم . ولو لم يكن للاسلام إلا ما أنشأ من حضارة فى القرون الوسطى حفظت تراث الإنسانية من الضياع ؛ لكفاه فخراً إلى الأبد .

اقترنت نشأة المدنية الاسلامية بخلافات داخلية فتحت أبواب الانتحال أمام رجال ذلك الجيل فأنغمر التاريخ الاسلامى بعشرات الألوف من الروايات الكاذبة بل والمئات المؤلفة من الأحاديث المختلقة على الرسول ، وكان لهذا الانتحال أسباب عديدة فكثيرا ما كان الدين يدفع رجاله لانتحال الروايات التاريخية والأحاديث النبوية لاثبات بعض وجهات النظر الدينى ؛ يسوقنا إلى هذا النظر فى الخلافات الدينية التي استعرت نارها خلال القرنين الأول و الثانى للهجرة بين أنصار على وأنصار معاوية وما عقب ذلك من نضال بين السنة والشيعة والمعتزلة . كما وأن السياسة والخلافات التى قامت بين بنى أمية وبين بنى هاشم إلى صدر العباسيه كان لها يد لا تنكر فى الانتحال . ونحن نرى هذا الانتحال قد اندفع إليه الكثيرون من جلة الرجال عن طريق غير شعورى كما تدلنا على ذلك حالات عديدة ؛ كما وأن الجانب الأكبر كان مقصوداً انتحاله لغايات دينية ومآرب سياسية . وهكذا غابت حقائق التاريخ الاسلامى وسيرة الرسول فى طيات الأقاصيص التى ابتدعتها العقول خلال القرنين الأول والثانى للهجرة فظهر من خلال ذلك التاريخ الاسلامى وسيرة الرسول مختلطة مادتها بالأقاصيص ؛ اختلاط قليل من الحقائق بكثير من الأوهام .

. .

ولقد أكببت مدة من الزمن ليست باليسيرة على تاريخ الاسلام فدققت معظم المصادر العربية والتركية والفارسية مخطوطة ومطبوعة فى دور الكتب بمختلف أمصار أوروبا وأسيا وافريقية . وراجعت جلّ ما كتبه المستشرقون بالألمانية والروسية والايطالية والانجليزية والفرنسية وطابقت ما ذهبوا إليه على مصادرها الشرقية للتأكد من صحة ماذهبوا إليه . فما كان صحيحاً قبلته وما كان ضعيفاً نظرت فى أمره وما كان باطلا رددته ورفضته ؛ حتى تجمع لدىّ الشىء الكثير من المعلومات والملاحظات فيها مقدار ليس باليسير من الأفكار الشخصية ؛ وفكّرت أن أضع كتاباً عن حياة محمد ونشأة الاسلام ؛ وبالفعل مضيت فى المشروع إلى حدّ ليس باليسير ، وبان لى أن الكتاب الذى فكرت فى وضعه لن يخرج فى أقل من ستة مجلدات ضخمة فى نحو الثلاثة آلاف

صفحة . وما انتهيت إليه مجلد ضخم فى خمسمائة صفحة ؛ عرضت فيه لمصادر تاريخ نشأة الاسلام وتناولت بالبحث كلاً من الحديث والقرآن والسيرة ؛ وظهر لى من خلال بحثى أن الحديث مختلق جله إن لم يكن كلّه على الرسول ؛ وأن السيرة معظمها أقاصيص ، وأن القرآن هو المصدر الوحيد الذى يمكن الاعتماد عليه والاستدلال بآياته على وقائع التاريخ . كما وأنى تناولت فى بحث مستفيض مسألة الأنساب عند العرب وكشفت أن أصوله ليست بأقوى من أصول الحديث وأعقبت هذا ببحث مسهب عن نسب الرسول وأظهرت أنه مختلق وأن اسم الرسول كان قثما أو قثامة وأن اسم والده حوّل من عبد اللات إلى عبد الله على الصورة التى تحول فيها اسم أبو بكر من عبد اللات أو عبد المعزى إلى عبد الله . وبينت بكثير من الدلائل أن المطلب لم يكن شخصاً تاريخياً بل اسم صنم من أصنام مكة وأن عبد المطلب لم يكن جدًّا حقيقيًا للرسول وأنه لم ينحدر من صلب هاشم . وفى هذا البحث انكشف لى من الحقائق الشىء الكثير فى نسب الرسول . وتلى ذلك بحث فى طفولة الرسول ونشأته وفى هذا البحث بينت أن قصة الراهب بحيرا ومقابلته للرسول من أثر الميول النصرانية التى حملها النصرانيون للاسلام باسلامهم وانتهيت من كل هذا إلى شىء ان لم يكن يقيناً فهو أقرب الأشياء إلى اليقين وهو أن للرسول حياةً ليست كما تصورها لنا كتب السيرة . وقد حاولت أن أخرج هذا البحث فى هذه الأيام ولكن قعدت بى ظروف مادّية عن ذلك لهذا فكرت أن أخرج فصلا من فصول الكتاب فى كتيّب على الناطقين بالضاد وأدعو فى نهايته الذين يعنون بدارسة التاريخ الاسلامى إلى العناية به حتى يسهل علىّ إخراجه . وقد وقع إختيارى على فصل الحديث والرواية فخاطبت زميلى الدكتور كازميرسكى مدير المعهد الروسى للدراسات الشرقية فى ذلك فألتزم المعهد بنشره . ولاختيارى هذا الفصل قصة مستفيضة ذلك أن الحديث وهو كما لا يخفى يُكوّن مصدراً هاماً من مصادر حياة الرسول ونشأة الاسلام بما فيه من الروايات والحوادث المستفيضة ؛ له قيمة دينية إذ يقوم عليه جانب كبير من التشريع الاسلامى وأصوله ؛ إذ الحديث شارح القرآن فان كان ماذهبت إليه من الشك فى الحديث

صحيحا وهذا ما أعتقده فهذا الشك له قيمته من الوجهة الدينية لأن الشك فى صحة الحديث يجعل جانباً من أصول تشريع الأسلام ينهار ويبقى القرآن وهو كما ذهبت إليه المصدر الموثوق فى صحته قائماً بمبادئه المرنة التى تتمشى مع كل زمان ومكان . وبذلك يمكن فى نظرى أن يخرج الاسلام من جموده الراهن ويساير مجرى الثقافة العالمية .

إن الاسلام فى حاجة إلى التجديد ؛ تجديد يتصل بروحه الراهنة ؛ كالتجديد الذى لحق المسيحية بحركة مارتن لوثر وإنى لايختلجنى الشك فى أن هذا التجديد سيكون فى فتح باب الاجتهاد واستخلاص المبادىء من روح العصر وردّ الحديث القائم على مماحكات العقول التقليدية فى القرن الأول والثانى للهجرة .

. .

وإنى لأشعر وأنا مكب على كتابة هذه السطور أن شيئاً من العجب سيتطرق إلى نفوس الكثيرين لانفرادى دون بقية الأعاجم فى عصرنا الراهن فى الكتابة بالعربية . غير أنى لا أشك أن إحساسهم بالعجب لا يلبث أن يزول متى عرفوا يقيناً أن لهذا سببين :

الأول : أن العربية هى اللغة التى يرجع اليها فى إستقصاء تاريخ الاسلام وحياة الرسول مما يكون معه من العبث أن يكتب الباحث البحث بلغة غيرها لأن الفائدة تكون محصورة وقتئذ على الناطقين بها ومهما كانت هذه اللغة منتشرة فهي ليست جامعة لكل الآخذين بدراسة تاريخ الاسلام والمتخصصين لبحث حياة الرسول من عرب وعجم .

الثانى : أننى أيام تعلمى العربية على يد الأستاذ اسماعيل صائب مدير دار كتب بايزيد بالأستانة أخذت أكتب ملاحظاتى وآرائى وملخصات مراجعاتى على الكتب بالعربية ليستقيم يدى على الكتابة بها وبذا تجمع لدىّ مجموعة ليست بالقليلة من المباحث المختلفة فى ضروب المعرفة المتنوعة باللغة العربية مما يسهل تنظيمها لدراسته بالعربية .

وإنى على وشك نشر هذه الرسالة على الذين يعنون بالمباحث العلمية الجدّية

فى تاريخ الاسلام أرجو القارىء أن يتجرد على قدر إستطاعته من التقاليد الذى خرج بها من بيئته ووسطه ووراثته غير مقيد نفسه بالأفكار التقليدية الرسيسة التي نخرت فى عظام الشرق نيفاً والف عام وقعدت بها عن مجاراة سير الحضارة الانسانية.

وإنى أشعر بأنكم أبناء العربية ستشاركوننى الشعور فى أنى قمت بشىء من الواجب نحو العربية فان أصبت فذاك حسبى وإن أخطئت فحسب المحققين تقويم خطئى ؛ فالحقائق بنت البحث والتحرى ؟

اسماعيل أحمد أدهم

٣١ مارس ١٩٣٦ م

الحديث والسيرة والرواية

معنى الحديث

§ ١ :- إن كانت معانى الكلمات تشتق وتستمد من مصادرها فالإصطلاح « الحديث Tradition » معناه الرواية ؛ ويراد به فى علم الشريعة الإسلاميَّة وخاصة فى علم الحديث ما ورد عن النبى محمد من قول أو فعل أو تقرير (١) . وليس هنالك فى الواقع حدّ فاصل بين الحديث والسيرة التى هى حياة الرسول « The life of Prophet » فالحديث يتناول ما قاله الرسول والسيرة تتناول حياته وأفعاله . ويعانى المشتغلون بالمباحث الإسلامية شيئاً كثيراً من الصعوبة فى التفريق بين مدلولهما لتشابك خيوطهما وتداخلهما . ولست أجد من ضرورة فى الوقت الحاضر تحفزنى إلى التفريق بينهما لأننى أقرر أن الحديث والسيرة مظهران لحياة الرسول وأفعاله وأقواله . وكلما تعمقنا فى دراسة السيرة والحديث إقتنعنا بوحدتهما وضرورة اعتبارهما شيئاً واحداً (٢) .

الحديث والسيرة

الحديث والاسناد

ويعلم كل مطلع على صفحات علم الحديث مقدار الإرتباط القائم بين الحديث والإسناد .

معنى الاسناد

يبدأ الحديث وجوده من الشخص الذى دوّنه ويرتقى فى جوف الماضى إلى قول قاله النبى أو واقعة شاهدها أحد الصحابة عنه فحدثها لغيره وهذا نقلها بدوره لآخر حتى وصلت إلى مدوّن الحديث . أو بتعبير (٣) آخر إن ماقاله النبى أوفعله نقله « ا » إلى « ب » شفاها ، ثم أبلغه « ب » إلى « ج » الذى رواه إلى « د » الذى هو مدوّن الحديث .

اتصال الاسناد بالحديث

فالحديث إذن هو المتن المتسلسل رواية من « ا » إلى « ى » متنقلاً بين « ب » و « ج » والإسناد هو التسلسل ذاته ؛ أعنى بذلك أنه سلسلة

---

(١) فجر الاسلام للاستاذ أحمد أمين . ص ٢٤٤ .

(٢) مجلة التاريخ التركى « السيرة النبوية والحديث » ج ١٢ ص ٥٨١ سنة ١٩٣٥ م للكاتب .

(٣) *C aetani "Leone" Annale dell'Islam., Milano 1905., 1vol. p. 72.*

الرواة الذى سار فيها الحديث حتى مدونه .

الحديث بلا اسناد

§ ٢ :ـ يقوم الحديث على أساس أوّلى هو حفظه؛ (١) وعلى فرض صحة ثبوت تذكره فى الرواة فالنظر الانتقادى لمجموعة الحديث يذهب بنا إلى أن الحديث (٢) قام بلا إسناد أولاً ثم جعل له فيما بعد ما يعرف بالإسناد ، أعنى بذلك أنهما لم يكونا متواقتين . ولو مضينا نبحث فى نشوء الإسناد وحلقات تطوّره فإننا حتما سنضطر إلى تدقيقات من أصعب ما يتصوّر فالمصادر قليلة وهى على قلتها مضطربة غير أن أبى جعفر الطبرى (٣) المتوفى سنة ٩٢٢ م أعطانا فى مقدمة كتابه تاريخ الأمم والملوك بيانات قيمة فى نشوء الحديث . ونحن لو أعرنا هذه البيانات قيمة تاريخية فاننا نضطر إلي الاعتراف بعروة (٤) بن الزبير ابن العوام الأسدى المتوفى سنة ٩٤ هجرية باعتباره موجداً لعلم الحديث ؛ فانه أول من جمع الأحاديث ونظمها . ولو مضينا ننظر وندقق فى هذه الروايات ونتناولها بالنظر الانتقادى والبحث المقارن لرأينا أن عروة بن الزبير لا يسند الأحاديث إلا لنفسه والقرآن . أعنى أنه فى عصر الخليفة الأموى عبد الملك ؛ فى الفترة الواقعة بين العقدين الثامن والتاسع من القرن الأول لهجرة الرسول ؛ بمدة أكثر من نصف قرن على وفاته ؛ وفى الدورة التى ظهر خلالها صفوف التابعين وتابعيهم كان أكبر راوى للحديث لا يجد نفسه فى حاجة إلى ذكر الذين نقل عنهم وصحّ نقلهم عن النبى . ونحن نبصر أحاديث عديدة فى كتب الحديث ترتقى فى إسنادها إلى المحدث عروة بن الزبير فلو سلمنا بصحة هذه الأسانيد فاننا نتردى فى شىء من الحيرة صدد المصدر الذى استقى منه عروة الأحاديث ، فلا ريب أنه لم ينقلها عن النبى

عروة بن الزبير

اسناد الحديث للقرآن

---

(١) ان ثبات الخطرة فى الرواة أمر ليس بالراجح والشك يختلجنا صدد هذه المسئلة وخاصة ونحن نرى ألوف الأحاديث يرويها واحد فلو صح أنه راوى هذه المجموعة فلا ريب أن الفاظ الحديث تتغاير فى فترة انتقالها فى سلسلة الرواة كما وأن شيئاً من التغاير ينتابها وقد يؤدى هذا التغاير الى ضياع المعنى الاصلى .

(٢) تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعى ص ٢٨٣ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ص ٣٣٨ .

(٤) تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك للسيوطى* ص ٤-٦

رأساً لأن الزمان تأخر به عن زمن الرسول ولا شك مع هذا أنه أخذ هذه الأحاديث عن صحابة الرسول وخاصة زوج النبي عائشة (١).

القرآن كميزان للحديث

§ ٣ :- لقد كان القرآن ميزاناً للحديث الصحيح فى صدر القرن الأول وحقا كان خير مقياس يقاس به الحديث وسائر الأنباء التى تكون قد رويت عن النبي لأن العهد لم يكن بعيداً بالرسول فلما تقدم الزمن ضعف هذا الميزان وتسرب الوهن إلى هذا المقياس لأن القرآن كما نعلم كتاب مبادىء وأصول لم يقرر فيها التفاصيل ؛ فمن السهل جداً إنتحال الكثير من الحديث على الرسول فى تفاصيل الشريعة الاسلامية وأصولها والتى لم يتطرق إليها القرآن فى بحثه . وقد استغل هذه الناحية منتحلو الحديث فكانت أحاديثهم وقفاً على تفاصيل دقيقة. هذا إلى أن هذا المقياس كان لا يصلح فى تمييز الروايات المتعلقة بحياة الرسول . ومن كل (٢) هذا كان لا مندوحة من البحث على ميزان آخر يكون أكثر دقة وهذا مادفع المحدثين وعلماء الحديث فيما بعد إلى انتحال الاسناد ليصبغوا الحديث بصبغة علمية .

تدوين الحديث

§ ٤ :- لو وعينا الفكرات المبثوثة فى الفقرات الثلاثة كان لامندوحة لنا من الحكم بان الاسناد من عمل العصور المتأخرة . هذا إلى أننا نعلم أن الحديث بدأ فى تدوينه على نظام فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٣) ، تولى الخلافة عام ٩٩ هـ وتوفى سنة ١٠١ هـ ، وأن الحديث كان قبل ذلك مستمراً على ما يعرض فيه من عوارض السهو والاغفال وما يدخل عليه من الشبه والتأويلات ، وعلى أن بعض الثقات ربما أخذه عن غير الثقات حتى كانت خلافة عمر بن عبد العزيز

عمر بن عبد العزيز

فرأى الحديث معلقا بافراد الرجال وكانت قد فشيت فى زمنه أشياء مما يتعمد فيها الكذب فكتب إلى نائبه فى الإمرة والقضاء على المدينة

---

(١) اسعاف المبطأ برجال الموطأ للسيوطى ص ٢٠٥ « عروة بن الزبير »
(٢) ارشاد الفحول للامام الشوكانى ص ٣٠-٣٢
(٤) تنوير الحولك شرح على موطأ مالك لجلال الدين السيوطى ص ٤-٦ وتاريخ آداب العرب ص ٢٨٠-٢٨٣ لمصطفى صادق الرافعى .

أبى بكر بن حزم « المتوفى سنة ١٢٠ هـ » أن أنظر ما كان من حديث الرسول فاكتبه إن خفت على دروس العلم وذهاب العلماء . وكان قبل هذا الحديث لا يدون إلا عند نفر من الصحابة كعبد الله بن عمر وبعض التابعين كعروة بن الزبير . ثم أمر عمر بن عبد العزيز محمد بن مسلم الزهرى عالم الحجاز والشام « المتوفى سنة ١٢٤ هـ » فدون الحديث حتى انتهى الأمر إلى الامام مالك بن أنس « المتوفى سنة ١٧٩ هـ » فصنف الموطأ ، وكذلك إلى عبد الملك بن جريج بمكة « المتوفى سنة ١٥٠ هـ » وعبد الرحمن الأوزاعى بالشام « المتوفى عام ١٥٧ هـ » وسفيان الثورى بالكوفة « المتوفى عام ١٦١ هـ » وحماد بن سلمة بن دينار بالبصرة المتوفى سنة ١٦٧ هـ » فكتبوا فى الحديث . وهذا القول ان دل على شىء فانما يدل على أن العصر الأول ما كان يعرف تدوين الحديث وأن تدوينه من أعمال القرن الثانى .

البدء فى التدوين والمصادر الأصلية

§ ٥ :- مما سبق خرجنا بشىء إن لم يكن اليقين كله فان أقرب الأشياء إلى اليقين وهو ان أقدم ما دون من الحديث كتب بعد وفاة النبى بمائة سنة أو أكثر ، وبعد أن فشت فى الدولة الاسلامية دعايات سياسية وأخرى دينية كان اختلاق الروايات والأحاديث بعض وسائلها إلى الذيوع والانتشار . هذا إلى أن أقدم مصدر لحياة الرسول وتاريخ نشأة الاسلام ما كتبه المؤرخ عبد الملك بن هشام (١) « المتوفى سنة ٢١٣ هـ - ٨٣٣ م » ومصدر إعتماد ابن هشام فيما كتب عن السيرة (٢) النبوية ما روى عن محمد بن اسحاق « المتوفى سنة ١٥١ هـ ٧٦٨ م » صاحب المغازى والسير . إذا اختصر « السيرة النبوية » التى

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٩٢ ووفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٩٠ . وقد طبع المستشرق المشهور وستنفلد « كتاب سيرة رسول الله » بجوتنجن بين سنى ١٨٥٨ و ١٨٦٠ م كما وأن فيل Weil ترجمها الى اللغة النمساوية فى سنة ١٨٦٤ م .

(٢) يظهر أن عبد الله محمد بن اسحاق قد دون السيرة النبوية فى كتابين ؛ « المبتدأ » راجع الفهرست ص ٩٢ أو « مبتدأ الخلق » راجع ابن عدى ج ٢ ص ٨ على سيرة رسول الله لابن هشام ، أو كتاب « المبدأ وقصص الانبياء » راجع السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٥ . والثانى « كتاب المغازى والسير » وهو من أهم الكتب وهو ضمن تهذيب ابن هشام .

ألفها ابن اسحاق وحفظ لنا فيها الكثير من سيرة الرسول وأخبار العرب. فلا يجب أن ننسى أن عبد الملك بن هشام عاش فى عصر بينه وبين عصر الرسول نيف وقرنان؛ وكتب كتابه بعد أن ذاع فى الاسلام الميول والدعايات ولا شك مع هذا أن الأفكار الشائعة فى عصر ابن هشام أثرت على أفكاره كانسان (١) قبل أن يكون كاتباً؛ كما وأنها بلا شك أثرت من قبل على محمد بن اسحاق . وهكذا اختلط قليل من الحقائق بكثير من الأوهام لتخرج لنا سيرة الرسول .

تأخر العهد بالمصادر

§ ٦ :- لا يعرف ابن اسحاق الاسناد بل إنه أورد كل بحوثه دون أن يجد فى نفسه حاجة ماسة إلى ذكر من صح روايته عنهم؛ وهذه الظاهرة إن دلت على شيء فانما تدل على أن عصر ابن اسحاق ماعرف الاسناد . يزيدنا يقينا فى قولنا أن كل المتون القديمة التى حملت لنا فى طياتها نقولا عن رجال القرن الأول الهجرى والنصف الأول من القرن الثانى تدل على أن الاسناد كان فى ضمير الدهر ولم يتمخض عنه الفكر بعد . ومما يرجح هذا الظن أن الاشارات الاسنادية التى وردت بسيرة ابن هشام صورة طبيعية ليس لها تلك الروح التى تجلت من بعد فى كتب الحديث الكلاسيكية . وهذه الحقيقة تنكشف لنا بالمقارنة بين حالة الاسناد فى الدورة السابقة لعهد مالك بن أنس والدورة اللاحقة له؛ فما تركه الربيع بن الصبيح «المتوفى سنة ١٦٠هـ» وسعيد بن أبى عروبة «المتوفى سنة ١٥٦ هجرية» فى بطون أمهات كتب الحديث والسير ترينا الحلقة التى بدأت الأسانيد وجودها منه (٢)

ابن اسحاق والاسناد

§ ٧ :- لقد (٣) رتب العلامة وستنفلد Wustenfeld مجموعة الأسانيد التى أتت فى «السيرة النبوية» والتى إختصرها عبد الملك

أسانيد ابن اسحاق

(١) البيئة والانسان لبنيامين كيد العالم الاجتماعى ص ٨٨ . لندن ١٩١٣ .
(٢) التمهيد لابن عبد البر ص ١١٣ وارشاد السارى الى شرح صحيح البخارى ص ٧
(٣) *Das Leben Muhammed's nach Muhammed Ibn-Ishak., Bearbeitet von Abd El-malik Ibn Hischam., Hgg Von F. Wustenfeld., gottingen 1859-60., 2 vols, vol 2 p. L VII-VIII-LXIX.*

ابن هشام عن محمد بن اسحاق حسب الأبجدية وأرفقها بنهاية متن ابن هشام الذى أشرف على طبعه فى جوتنجن Gottingen ونحن لو ألقينا نظرات عامة على مجموعة هذه الأسانيد لتولانا الدهش إذ نجد معظمها مبتورة وغير متصلة . وبالمقارنة بينها وبين أسانيد صحيح البخارى التى صبت فى قالب منظم نجد الأولى مضطربة وناقصة . وإننا نتردد فى بيداء الحيرة ونبقى مترددين فى ايضاح إسناد مثل :

صورة الأسانيد

« قال ابن اسحاق » أو « روى عن ابن اسحاق » أو « حدث ابن اسحاق » . ويبلغ هذا التردد أشده حينما تقف على إسناد مثل « روى عن أحد أفراد أسرة .... » أو « روى عن ثقة (١) » .

هذه صورة من الاضطراب والنقص الذى نجده فى أسانيد ابن اسحاق كما وردت فى السيرة النبوية لابن هشام . ولنا أن نتساءل لما لم يذكر لنا ابن اسحاق اسم من نقل عن آخر ؟

اهمال الأسانيد

وفى حالات كثيرة نجد ابن اسحاق يمر مهملا ذكر المصادر الذى أستسق منها معلوماته . وكأنى به لا يشعر بحاجة الى هذا الذكر وقد كان بودى التوسع فى هذه المسئلة ولكنى أكتفى بضرب مثلين مشيراً الى حالات كثيرة ليرُجع إليها تاركا التوسع فى هذه النقطة لفرصة أخرى .

صورة من الاهمال

إن المعاهدة (٢) التى عقدها الرسول فى المدينة مع اليهود ذات أهميـــة تاريخية عظيمه . فهذه المعاهدة تعين لنا علاقات المسلمين فى بدء ظهورهم مع الطوائف الأخرى وبالخصوص بني اسرائيل . وتكشف عن روح التشريع الديني فى الاسلام فى دورة من دورات الجهاد فى سبيل تأسيس ووضع دعائم الدين الأسلامى .

مثل هذه المعاهدة مر عليها ابن اسحاق دون أن يشير إلى المصدر الذى استسق منه معلوماته .

---

(١) *LXIX LVIII*

(٢) *Ibn Hischam p. 341*

صورة أخرى

كذلك (١) يمكننا صرف القول ذاته فى مسالة قتلى وجرحى معركة بدْر . فهذه القائمة المطولة التى شغلت ثلاثين صفحة من متن ابن هشام مر عليها ابن اسحاق دون أن يفيدنا عن مصدرهـا . وكأنى بـكثرة الجرحى والقتلى وصراحة القائمة وهى تـكاد تبلغ حد الدقة أرفع كونه أتى من مصدر شفهى ؛ إذ من غير المعقول أن نفى ذا كرة إنسان مئات الأسماء بكنياتها والقابهـا والمرجح عندى أن ابن أسحاق أخذ هذه القائمة من الوثائق الـكتابية (٢) .

ويمكننى أن أمضى أعد مئات الحالات المماثلة لما ذكرت غير أنى اكتفى بما قدمت مرجعاً القارىء إلى متن كتاب « سيرة رسول الله » لإبن هشام ليقف على عبارة :

تخصص الرواية

قال أو روى عن أو حدث « ابن اسحاق » ولا أكثر . هذه العبارة ؛ عبارة فيها من التخصص الشىء الـكثير مما يهم بحثنا هذا فإن أبن اسحاق بدلا من أن يذكر كل رواية سمعها واحدة واحدة ؛ جمع الروايات المتشابهة فى رواية واحدة بعد أن أدخلهـا فى صيغة مفردة أسندها لنفسه .

يعترف بهذا ابن اسحاق ؛ وقد طبقهـا فعلياً فى الحوادث الـكبرى من حياة الرسول (٣) فهذه قصة المعراج وغزوة بدر ومقتل كعب الأشراف وغزوة أحد وحصار المدينة ورحلة المريسع وغزوة تبوك كلها شواهد تشهد بأن ابن اسحاق ما عرف الإسناد ولا كان يعرف التقيد بالمصـادر التى يأخذ عنها .

تجريح ابن اسحاق

§ ٨ :- بأن لنا فى الفقرة السابقة أن أبن اسحاق اخذ لنفسه الحرية فى البحث وهذه الطريقة لم ترق فى أعين علمـاء الحديث من

(١) *Ibn Hischam : § 45.*

(٢) *Annali dell'Islam p 175.*

(٣) *Ibn Hischam vol 2, «Vol 1 548 : 428 : Ibn Hischam., p. 263, » p. 555 : 699 : 725 : 894 " Wustenfeld "*

المسلمين فطعنوا (١) فى ابن اسحاق وجرحوه . ولا عجب فى هذا فان علماء الحديث ماحطوا من قدر ابن اسحاق وجرحوه الاَّ لأنه تعرض للكتابة عن حياة الرسول ورواية الشيء الكثير من الحديث دون أن يسند ما كتب لرواتها . وهذه الطريقة تخالف طريقة علماء الحديث فى إملاء الحديث إذ يسندون كل حديث إلى راويه وهكذا حتى الرسول . وضعف ملكة الانتقاد جعلتهم ينسون أو يتناسون أن ابن أسحاق عاش فى دورة انتقال وفترة ما عرفت الإسناد والرواية فإن كتب ابن اسحاق كتاباته دون أن يقدمها بأسانيدها فإنه انما اتبع روح عصره وجارى طبيعة زمانه وليس فى هذا ما ينقص من شأنه أو يجرح من كتاباته . فهو أول من أرخ فى السيرة وجمع فى تضاعيفها الشيء الكثير من أخبار العرب وصور حياتهم الجاهلية . ونحن (٢) لا ننكر أنه أقدم فى تدوينه السيرة على مزج كثير من الأقاصيص بسيرة الرسول تأثراً بالشائع فى عصره . ولا ريب أنه أدخل فى السيرة أشياء مخالفة للواقع وضمنه من الأشعار المنتحلة الشيء الكثير مما صار به فضيحة عند الرواة (٣) . ولكننا مع ذلك نقرر أنه فعل ما فعل تأثرا بالشائع ومجاراة لميول عصره فانه نشأ فى عصر كانت القلاقل كادت تودى بالاسلام والخلافات الدينية والسياسة على أشدها وكان اختلاق الروايات بعض الوسائل إلى الغلب (٤) وقد اندمج ابن اسحاق فى تيار عصره وما كان بمقدوره أن ينازع جيله آرائه مخافة ما يحل به . وهكذا قدر أن تغيب حقائق السيرة وراء سحب الأقاصيص التى حاكتها العقول فى ذلك الجيل .

عصر ابن اسحاق

§ ٩ :— يعترف ابن اسحاق انه ضم أحاديث وروايات متعددة

نشأة الحديث

---

(١) *Muir : vol 1 p. XC. XCII. & Wustenfeld vol 2 p. XXXVIII*

(٢) *(Edham 1.A) : Islam Tarihi., 1inçi Çilt. p LXXIV.*

(٣) فى الأدب الجاهلى للدكتور طه حسين ص ١٣٨

(٤) ،،تراث الاسلام ومسألته فى التاريخ ،، مجموعة بحوث نشرت بالروسية سنة ١٩٣٥ ص ٨٧٨ اشترك فيها الكاتب مع اثنى عشر مستشرق

فى حديث أو رواية واحدة . وهـذا الاعتراف ينير لنـا كيفية نشوء الحديث وتطوره بتقـادم الزمن . وعليه فنحن مقسورون على قبول الروايات التى أتت مسندة إلى شخص واحد باعتبارها محصلة لروايات عديدة . يزيدنا ايماناً بهذه الفكرة أن النظر (١) الإنتقـادى لمتن أبن هشام وكتب الحديث الستة يؤدى الى هذه النتيجة . وشهادة ابن اسحاق القيمة عن عملية المزج فى الحديث تغافله علماء الحديث إلى يومنا هذا بل وعملوا على أن يهووا به الى طيات النسيان ويودعوه ضمير الدهر وإنه ما زال فى تضاعيف الزمان مطوياً الى هذا العصر .

ابن الكلبى والاسناد

وإن اقتصارنا فى البحث علي ابن اسحاق ليس فى الواقع إلاَّ لحصر البحث ومن السهل جداً إشمال النتائج التي وصلنا إليهـا علي كل المتون القديمة التي سبقت كتب الحديث الكلاسيكية . فما تركه محمد ابن السائب الكلبى « المتوفى سنة ١٤٦ هـ — ٧٦١ م » وغيره من علماء القرن الأول والثانى للهجرة نجد البحث فيها وارداً دون ذكر من أخذ عنهم وصح نقلهم عن غيرهم .

ويكفى نظرة واحدة إلي امهات الدواوين التى وصلتنا عن أكابر المؤرخين فاننا نلفاها مفعمة بالنقول الكثيرة عن محمد ابن السائب الكلبي . مثال ذلك ابن سعد « المتوفى سنة ٢٣٠ هـ — ٨٤٤ م » صاحب الطبقات الكبرى وابى جعفر الطبرى « المتوفى سنة ٩٢٢ م » فقد أكثرا فى النقل عنه . وهـذا الجاحظ يروى الكثير عنه ومثله المسعودى « المتوفى سنة ٩٥٦ م » وابى الفرج الأصفهانى « المتوفى سنة ٩٧٣ م » فإنهما يعتمدان عليه فى كثير مما كتبا .

ولو ألقينا نظرة علي مجموعة هذه النقول فاننا نلفى الأسانيد ناقصة ومبتورة تماما كما هى عند ابن اسحاق .

ولقد حفظت لنا الايام من اثار ابى المنذر هشام بن محمد ابن

---

(١) راجع لنا مجلة فكر حركتلرى عدد ٥٢ مجلد ثان ص ٥٧٨ عدد نوفمبر ١٩٣٤ م

السائب الكلبي « المتوفى سنة ٢٠٤ هـ — ٨٢٠ م » بعض المصنفات ككتاب « الأصنام » و « أنساب الخيل » و « جمهرة النسب (١) » ونبصر من خلالها أنه اعتمد فيما كتب على ما رواه له أبوه . وبمراجعة الأسانيد نجدها مبتورة ناقصة على هذه الصورة :

« حدثني ابى (٢) » كما وأنك تجد إسنادًا هكذا

« حدثنا رجل من قريش (٣) » و « بلغنا أن رسول الله (٤) »

هذه صورة من النقص والبتر اللاحق الأسانيد . ولنا أن نتساءل لما لم يذكر لنا محمد بن السائب الكلبي مصدر روايته ؟ ولماذا لم يسند رواياته الى رواتها ؟

القرن الثاني والاسناد

هذه الحرية في البحث وعدم التقيد بذكر الأسانيد حالة عامة في جميع النقول المروية عن رجالات العقود الخمس الأولى من القرن الثاني للهجرة . وهذه الظاهرة إن دلت على شيء فانما تدل على أن الأسناد لم يكن معروفاً حتى العقد الخامس من القرن الثاني الهجري . وأن الأسناد نشأ في زمان لاحق لهذا العهد .

اختلاق الأسانيد

§ ١٠ :— إذا علمنا أن الأسناد من فعل العصور المتأخرة وأن القرن الأول والنصف الأول من القرن الثاني كان يجهله ؛ انفتح أمامنا باب جديد في البحث . لأنه من الغريب أن نرى المتأخرين من مدوني الحديث يسندون الأحاديث الى رواتها حتى عهد الرسول مع أن القدماء لم يعرفوا الاسناد ولم يذكروا عمّن أخذوا وصحّ أخذهم عن غيرهم . ولنا أن نتساءل من أين أتى للمتأخرين من المحدّثين

---

(١) *Becker "Carl. H" Zeitschrift der Deutschen Morgenândischen Gesellschaft., Leipzig 1902. p. 796-799., Und Brockelmann: Geschifichtetder A. L. 1900.*

(٢) الأصنام ص ٦ سطر ١ ، ص ٩ سطر ٢٠

(٣) الأصنام ص ١٤ سطر ٢

(٤) الأصنام ص ١٩ سطر ١

سلسلة أسماء الرواة حتى عهد الرسول مع أن القدماء منهم لم يرووا لنا عمّن أخذوا ؟

هذه معضلة من معضلات علم الحديث ، ولا جواب لهذا اللهم الاّ القول بأن المتأخرين من المحدّثين اختلقوا الاسناد إختلاقا ليصبغوا الحديث بصبغة علميّة .

انقطاع الاسناد

وهنا يحسن بنا أن نقول أن الأحاديث المروية عن السنين الأولى من حياة الرسول حتى بعثته ليست قائمة على إسناد تام وليست ذاهبة إلى راو رأى ما حدث بعينيه ، وهى على اكثر ما ترتقى تعلو الى بعض الذين عرفوا محمداً فى أواخر حياته . والأحاديث التى أدعى فيها الشهود ترتقى إلى الفترة اللاحقة وقائع السنة الأولى من هجرة النبىّ من مكة الى يثرب .

الاسناد فى القرن الثالث

§ ١١ :ــ لنتقدم إلى العصور المتأخرة ولنأخذ فى المقارنة بين صور الإسناد فى عصور التاريخ المتلاحقة فاننا نجد ما كتبه المؤرخ ابو عبد الله الواقدى « المتوفى سنة ٨٢٣ م ــ ٢٠٧ ه » والذى انتقلت لنا آثاره عن طريق كاتبه ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهرى « المتوفى سنة ٢٣٠ ه ــ ٨٤٤ م » « صاحب الطبقات الكبرى » ذات إسناد بلغ حدًّا ملموساً وكان ينقصه القليل ليبلغ ذروة الكمال . فلقد انتظمت الأسماء ودخلت فى سلسلة مرتبة ، بيد أنّنا نجد فصولاً بأسرها تبتدىء بالاسناد ليتلوها متن الرواية التى هى مزيج روايات مختلفة يتقدمها الرواية كاستشهاد وتلحقها بلا تخصيص محتويات الرواية . وهذا الضعف يأخذ فى الزوال كلما تقدّم الزمان بترقى المنطق الدينى بالاحتكاك مع اصول المدنيّة الاغريقية التى شيبت بأفكار النساطرة والسريانيين . ويأخذ كل حديث صورة مستقلة بنفسها ذات إسناد خاص بها ؛ وهذه الحقيقة تنكشف إذا ما تقدمنا والزمان نقارن أسانيدها . والبحث فى تضاعيف صحيح الأمام محمد بن اسماعيل البخارى

« المتوفى سنة ٢٥٦ هـ — ٨٧٠ م » تكشف عن الدورة الأخيرة لبلوغ الاسناد تمامه (١) .

تضخم الاسناد

§ ١٢ :— لقد رأينا كيف أن الاسناد تطور من عصر محمد ابن اسحاق حتى انتظم على يد الامام البخارى ولو تقدمنا والزمن فاننا نجد أن الأسانيد تتضخمّ إلى حدّ كبير ؛ مثال ذلك أسانيد المحدث ابن حجر العسقلانى « المتوفى سنة ٨٥٣ هـ — ١٤٤٨ م » فانها احتلت نصف متون مجلداته الأربعة الضخمة من كتاب « الأصابة فى تمييز الصحابة » وهذه الظاهرة إن دلت شيء ، فانما تدل على أنّ تدقيق الحديث انصرف نحو الإسناد. وبذلك يمكننا أن نقسم علم الحديث إلى دورتين :

ادوار علم الحديث

الأولى : حتى العقد الخامس من القرن الثانى وكان التدقيق منصرفا خلال هذه الفتره الى متون الأحاديث وكان الاسناد مجهولاً .

الثانية : من النصف الثانى للقرن الثانى ومن هذه الفترة انصرف جهود الباحثين إلى الاسناد وتحقيقة وفى هذه الدورة نشأ الاسناد وتطور حتى أوائل القرن الثالث حيث انتظم على يدى البخارى .

علم الحديث

§ ١٣ :— يذهب علماء الحديث (٢) الى أن المحدثين الاول دققوا الأحاديث وحققوا عمن روى الحديث ، وكمل هذا البحث رجال الطبقة الثالثة حتى انتهى الأمر إلى الامام البخارى فصنف صحيحه فى ستة عشر سنة وبذل قصارى الجهد فى التحقيق إذ وضع صحيحه حاويا ٧٢٧٥ حديثاً خرجه من ستمائة ألف حديث . وكان الذى دفعهم إلى هذا قناعة تختلج صدورهم فى أن يتبينوا الصحيح من الكاذب فى الحديث وما كان لديهم من مقياس سوى ذكر الذين

---

(١) ارشاد السارى الى شرح صحيح البخارى للقسطلانى ص ٩

(٢) *Annali dell'Islam., vol I. p. 85 & Hartwing Hirschfeld: Researches into the composition and exegesis of the Qoran., Asiatic Monographs, p. 52 (1902). vol III*

رووا لهم وصحت روايتهم عن غيرهم حتى النبيّ . فأن كانت سلسلة حلقات الرواة تشهد لأفرادهم بالصدق والنزاهة والامانة كان الحديث صحيحاً لا يقبل الشك وإلاّ كان الحديث ضعيفاً لا يعتمد (١) عليه . وحسب قاعدة الاسناد قسم الحديث أقساماً حسب السند مثل المتواتر وهو ما يرويه عدد تحيل العادة تواطؤهم على الكذب والمشهور وهو ما كانت طريقته محصورة والصحيح وهو ما اتصل سنده بعدول .. الخ

اختلاق الحديث

وبجانب (٢) هذا يعترف علماء الحديث فى صراحة أن يد الاختلاق أوجدت أحاديثاً لا عدّ لها ولا حصر . ولكنهم لم يفكروا أنه من السهل جداً أن يصل الاختلاق الى الاسناد فيوجد أسانيد ظاهرها صحيح وهى فى الحقيقة مختلقة . ذلك لأن مثل هذا التصور كان يؤدى إلى وأد علم الحديث والشك فى صحته .

ولقد كان هنا لك من الوقائع ما يثبت وصول الاختلاق الى الاسناد وكان من الواجب الشك فى الأسانيد حتى ولو كان ظاهرها صحيحاً ولكن خوف علماء الحديث من وأد الحديث جعلهم ينسون أو يتناسون هذه الوقائع .

اختلاق الاسناد

هذا النووى (٣) في شرحه على مسلم يقول :

« وقوم كانوا يتحرون فقط أن يكون الكلام حقاً فى »
« ذاته فيستجيزون نسبته إلى الرسول فقد قال خالد بن »
« يزيد سمعت محمداً بن سعيد الدمشقى يقول إذا كان »
« كلام حسنا لم أر بأساً أن أجعل له إسناداً »

هذه العبارة هامة لأنها تثبت أن الاختلاق وصل فعلا الى الاسناد فكم من حديث نطمئن إليه بدعوى صحة سنده . وفى الواقع إن هذا

---

(١) ارشاد السارى الى شرح صحيح البخارى للقسطلانى ج ١ ص ٧ ، ٨ .

(٢) فجر الاسلام ص ٢٤٤ - ٢٦١ ،٤ وشرح النووى على مسلم ج ١ ص ٣٢ ومسلم الثبوت ج ٢ ص ١٥٢ وشرح مسلم ج ٢ ص ١٢٥ وشرح صحيح البخارى ج ١ ص ١٧ - ٢٥

(٣) النووى على مسلم ج ١ ص ٣٢ . (فجر الاسلام لأحمد أمين ص ٢٤٩).

الاطمئنان ضعف فى النظر فمن يدرينى أن الاختلاق لم يصل الى الاسناد ؟ ومن يدرينى أن الحديث ليس مختلقا مع اسناده ؟

مسألة هامة كل الأهمية لم تطرأ على بال أحد وبقيت سراً فى جوف الزمان إلى اليوم .

اضطراب الحديث

§ ١٤ :— لم يمرّ بنا لحظة ونحن نتقدم فى البحث الاّ ازدادت شكوكنا فى مقررات الحديث والسيرة وهذا الشك يبلغ أقصاه اذا وسعنا دائرة البحث وتوغلنا فى دراسة الأحاديث وكشفنا عن التضاد والاختلاف والأخطاء التى بالأحاديث .

الحديث والتاريخ

بدأ علم الحديث وجوده حوالى العقد السادس من القرن الأول الهجرى وأخذ يتطور ويترقى حتى بلغ صورته الراهنة فى العقود الأولى من القرن الثالث . وفيما بين هاتين الفترتين ، فى هذه المدة البالغة نيفا وقرنا ونصف قرن نلمس ترقى الحديث بصورة جلية لا تقبل الشك . وليس بى حاجة الى أن أتناول الأحاديث التي اختلقت فيما بعد هذا التاريخ لأن موضوعها بارز كل البروز ومن السهل جداً الكشف عنها . لهذا نحصر بحثنا فى الكتب الكلاسيكية التى كتبها كبار المحدثين كالامام مالك والبخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى وابن باجة . فنجد أن مجموع الأحاديث التى تنطوى عليها بطون كتبهم ومسانيدهم لا تحوز قيمة تاريخية كبيرة لحياة الرسول أو تاريخ نشأة الأسلام ، إذ هى تدخل فى إطار المدنيّة الاسلامية وميولها السياسية والاجتماعية والمدنية والدينية .

الحديث صورة الميول الفكرية

إن الأحاديث (١) ترينا ما كان المسلمون يريدون من الاسلام فى فترة تمتد من أواخر القرن الأول الى أوائل القرن الثالث ؛ لاما تحدث به الرسول لأصحابه . فالأحاديث وثيقة تاريخية هامة لتطور الفكرة

---

(١) *Goldziher : Muhammedanische Sludien. Von Ignaz Goldziher. Halle 1889, 1890., 2 voll., « p. 5. vol. II »*

الدينية الاسلامية وليست بمصدر لحياة الرسول ونشأة الاسلام .

السيرة سلاح الدعاية

هذه النتيجة يمكننا أن نستخلصها من دراسة الأحاديث والروايات الخاصة بحياة الرسول ، فهى ليست روايات تاريخية إنما هى سلاح الدعاية الذى عليه المسلمون فى الترويج لدينهم والتبشير بالاسلام

الحديث ليس بكلام الرسول

§ ١٥ :— انتهى بنا البحث الى شىء إن لم يكن يقينا كله فهو قريب من اليقين ؛ ذلك أن الكثرة المطلقة من الحديث ليست من كلام الرسول فى شىء ؛ وإنما هى منتحلة بعد وفاة الرسول بنصف جيل على أقل تقدير ؛ فالحديث يمثل حياة المدنيّة الاسلامية وميول المسلمين وأهواءهم فى القرن الاول أكثر مما تمثل حياة الرسول . وأكاد لا أشك فى أن ما بقى من الحديث قليل جداً لا يتجاوز أصابع اليد عداً ولا يمثل شيئاً ولا يدل على شىء ، ولا ينبغى الاعتماد عليه فى استخراج التاريخ الصحيح للرسول . وكل ما تقرؤه فى كتب الحديث على أنه كلام النبىّ أو روايات تكلم بها صحابى عن الرسول فانها ليست منه فى شىء ؛ وإنما هو إنتحال الرواة وإختلاق بعض الصحابة أوصنعة التابعين أو اختراع القصاص والمفسرين والمتحدثين .

انتقاد المتون وآثاره

§ ١٦ :— إن علماء الحديث وناقديه لم يعنوا بانتقاد المتون نقداً علمياً (١) لأنها تغاير مبادئهم الأولى ومقرراتهم فى الحديث وتعد شكا فى نزاهة الرواة ومنهم العدد الكبير من صحابة الرسول . وهذا الشك إن وصل إلى حد الارتياب فى نزاهة الصحابة فانه يعصف بأصول الدين الاسلامى لأن الصحابة هم الذين رووا القرآن ودوّنوه وهم الذين تحدثوا بالحديث فأخذته عنهم العصور المتأخرة . وهم الذين رووا السنة للتابعين . وكان معنى تحكيم العقل الصرف فى انتقاد المتن تحكيم العقل فى مسائل الدين الاعتقادية ؛ وليس لهذا من نتيجة اللهم الآ تزلزل المعتقد تحت ضربات المنطق والقياس .

---

(١) *Edham „ I. A. „: Islam Tarihi, Istanbul 1935., 2 Çilt p. 139.*

ويقرر علماء الإسلام صدق صحابة الرسول، أو بتعبير آخر يزعمون أنه لا يمكن العثور على مختلق فيما يرويه الصحابة عن النبي. فان كان الحديث مروياً عن صحابى حتى مدون الحديث وكان مطابقا روايته لقاعدتهم فى الاسناد كان متن الحديث صحيحاً وكلام الرسول الذى لا يقبل الانكار.

تعديل الصحابة

وهذا التعديل (١) للصحابة على الاجماع قرره معظم النقاد، وقليل (٢) منهم من أجرى عليهم ما أجرى على غيرهم. إلاّ إنه من المهم هنا أن نقول أن الصحابة (٣) كان يضع بعضهم بعضاً فى موضع النقد. وعلى الاجمال كانت طريقة تعديل الصحابى أو تجريحه جدلية

نقد روايات الصحابة

ونحن إذا رفضنا زعم علماء الحديث بنزاهة الصحابة وأجرينا عليهم ما نجرى على غيرهم كنا أقرب إلى المنطق والعقل فى عملنا هذا. وكنا لم نفعل أكثر من السير ومقتضيات علم النقد الحديث.

ولا شك (٤) أن الكثيرين سينظرون إلى عملنا هذا بعين الخوف من نتائجه فلهؤلاء نقول لا معنى للبحث عن مختلق الحديث فى صفوف التابعين وتنزيه الصحابة عن الانتحال. لأن مثل هذه التفرقة إعتبارية لاوجود لها؛ ولا تتفق ومقتضيات علم النقد؛ ولا تلتئم ووقائع التاريخ. كما أنه ليس هنا لك حد طبيعى بين الصحابة والتابعين يجعلنا ننزه الأولين عن الانتحال، ونشك فى الآخرين. وما دمنا نضع التابعين موضع النقد فالأولى أن نضع الصحابة فى مشرحتها.

الصحابة ورواية الحديث

§ ١٧ :- إن أكثر الصحابة رواية للحديث أبو هريرة وعائشة وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس، بل يكاد يكون الحديث كله مرويا عنهم. ولهذا

---

(١) المستصفى جزء أول ص ١٦٥

(٢) فجر الاسلام ص ٢٥٣ لأحمد أمين.

(٣) شرح مسلم الثبوت ج ٢ ص ١٧٨

(٤) (الصحابة والحديث) (Orient) عدد ١٩ ص ٩٣٠ (موسكو ١٩٣٤) للكاتب

نريد أن نختار منهم اثنين نصرف انتقادنا إليهما وليكونا أشهرهما أبو هريرة وعبد الله بن عباس .

أبو هريرة

أما أبو هريرة الدوسى « المتوفى عام ٥٩ هـ » فيكاد يكون مؤسس علم الحديث بكثرة رواياته التى تكاد تكوّن نصف صحيح البخارى (١) ومع هذا نرى طائفة من كبار علماء الاسلام ارتابوا فى ما نقل عنه وتشككوا فى صحة ما يرويه من الأحاديث . فالامام أبو حنيفة (٢) « المتوفى سنة ٧٦٧ م » يرتاب فى كل من أبى هريرة وأنس بن مالك . والمحدث المشهور عبد الله (٣) بن عمر ابن العاص « المتوفى سنة ٦٥ هجرية » يطعن فيه ويندد به لكذبه على الرسول . كما وأن عائشة (٤) بنت أبى بكر وزوجة الرسول لا تخفى أن أبا هريرة أختلق على الرسول الكثير وانتحل شيئاً غير يسير . فلا عجب إذا ما شككنا فى رواياته (٥) . وهذا الشك يبلغ اقصاه حينما نعلم أنه أسلم قبل وفاة الرسول بثلاثة (٦) أعوام ويحتمل أنه كان نصرانياً قبل اسلامه (٧) وشدة شغفه بمبادىء المسيحية إن دلت على شىء فانما تدل على مسيحيته الأولى . وليس لدينا دليل يثبت لنا أنه كان صادقاً فى اسلامه أو أنه لازم الرسول مدة حياته . أضف الى هذا أن معلوماتنا عنه قليلة لا تكفى لمعرفة شخصيته بل وحقيقة(٨) اسمه .

الميول النصرانية فى رواياته

هذا الى أن البحث التنقيدى لمجموعة الأحاديث التى رويت عنه تكشف بصورة جلية أنه اعتمد على المصادر المسيحية فى وضع الاحاديث (٩) ؛ إذ النصرانية بآرائها وأساطيرها ومعتقداتها جلية

---

(١) يروى له ٥٣٧٤ حديث « ص ٢٥٦ من فجر الاسلام لأحمد أمين »
(٢) حياة الحيوان للدميرى ص ٣٥٠-٣٥١
(٣) الأزرقى ص ٥٣ سطر ١٢
(٤) ابن حجر IV الاصابة فى تمييز الصحابة ص ٣٩٤ سطر ١٥
(٥) جولدزيهر Phil ج ١ ص ٤٩ ؛ Muh Stud ج ٢ ص ٤٩ وأحمد أمين : فجر الاسلام ص ٢٥٧
(٦) ابن حجر « الاصابة » ج IV ص ٣٩ سطر ٧
(٧) *" Abou-Horayrà El-Dousy " Orient vol 23 p. 15*
(٨) ابن حجر IV ص ٣٨١-٣٩٩ ؛ وابن قتيبة ص ١٤١-١٤٢ ، والنووى ص ٧٦٠
(٩) *Annali dell'Islam p. 126*

فى مجموعة أحاديثه، حتى أنه وضع على لسان الرسول بعض فقرات الانجيل (١) ولم يتورع من أن يسند اليه الشيء الكثير من أساطير المسيحية (٢).

كثرة روايته للحديث

وقد كانت كثرة روايات أبى هريرة مبعثاً للشك فيما يرويه فكان يتمحل لذلك بأنه ما كان يفارق الرسول وأنه لفقره كان يلازمه ويتعيش بما كان النبى يحسن به عليه؛ وبذلك كان ألزم للرسول من ظله بينما كان المهاجرون يشتغلون بالتجارة فى اسواق المدينة، والأنصار فى إدارة ممتلكاتهم وبذلك وقف على الكثير مما لم يقف على جزء منه (٣) غيره. ونحن لا نشك أن هذه الدعوى كاذبة لأن روح الاسلام لا تتفق مع الكسل والخنـــوع والرضى بحياة الفقر والتوكل الذى يدعيه لنفسه أبو هريرة؛ فآيات القرآن صريحة فى السعى إلى الرزق والعمل على الكسب. هذا إلى أننا لو قبلنا دعوى أبا هريرة فلا شك مع هذا أنه ليس الوحيد الذى لازم النبى فلا معنى لإنفراده دونهم بالرواية على المنوال الضخم الذى ترينا إياه كتب الحديث الكلاسيكية.

تبريره لكثرة روايته

ولم يقف ابو هريرة عند حد هذا الادعاء؛ بل زعم انه كان ضعيف الذاكرة فاشتكى للرسول من ضعف ذاكرته؛ فتشفع النبى لدى الله فأنعم الله على أبى هريرة بذاكرة قوية يحسدها عليه غيره (٤). ولا أظنه أختلق هذا الحديث الاّ ليبرر كثرة روايته للحديث. وهذا الادعاء رغم ضعفه لا يتفق وحقائق علم النفس. هذا إلى أن ابا هريرة كان دأبه إيهام الناس بأنه يعلم ما لا يعلمونه؛ حتى أنه زعم أنه لو أخبرهم بكل ما عنده لمزقوه إربا (٥). ومن عجائب روايته زعمه الحدث للشيطان يوم الجمعة حين الآذان لكيلا يسمعه (٦).

اختلاقاته

(١) البخارى ج ١ ص ٧٠ سطر ١٧، ص ٢١٦ سطر ١٥، ص ٢٢٤ سطر ٤ «Krehl»
(٢) البخارى ج ١ ص ١٧١ سطر ١١ وبوماتهودن VI ص ٣
(٣) ابن حجر ص ٣٨٩ سطر ٧، والبخارى ص ١٢ و ص ٤٣ سطر ١٧
(٤) ابن حجر ص ٣٩١ جزء VI والبخارى ص ٤٣
(٥) ابن حجر ص ٣٩١ جزء VI سطر ٤ وص ٣٩٤ سطر ٥
(٦) البخارى ج ١ ص ١٦١

§ ١٨ :— وعبد الله بن عباس المتوفى سنة ٦٨ هـ كان من كبار المحدثين روى له نيف وألف وخمسائة حديث . هذا إلى أنه ابن عم الرسول ولقد طارت شهرته يوم تولى أحفاده الخلافة . ولقد أستغل ابن عباس مركزه الاجتماعى فى نشر مجموعة من الاحاديث منتحلة على الرسول . وكان مصدر إعتماده فيما اختلق الأساطير الاسرائيلية وما اتصل بها من الميثولوجيا القديمة . ولم يكن اختلاق ابن عباس للحديث الا نتيجة لادراكه احتياجات عصره ؛ ولم يكن فى الصحابة ولا التابعين من يضارع عبد الله بن عباس فى بعد نظره أو يقاربه فى إدراكه لروح عصره .

عبد الله بن عباس

لقد نشأ بن عباس فى أواخر عهد الرسول ولمس نتائج الانقلاب العظيم الذى أحدثه الرسول فى القبائل العربية وعمرّ إلى عصر الفتوحات ورأى جحافلة العرب تغزو بطاح سوريا وأودية ما بين النهرين وشاهد الأمبراطورية البيزنسية تتطحم أمام هجمات العرب ودولة الأكاسرة تتكسر أمامهم . ورأى مدنية البيزنس ووقف على جانب من حضارة الأكاسرة وعرف روح عصره حاجات جيله وأحس بجمود الاسلام إزاء الروح المرنة التى لمسها عند أبناء هذه الحضارات فقام يعمل على التوفيق بين روح الاسلام وروح عصره واقفا نفسه على تكميل مهمة النبى الذى لم يقف على روح مدنية الأكاسرة والبيزنس وقوفا صحيحاً .

نشأته

ادراكاته لروح عصره

ولقد تعذر على ابن عباس تمثيل الأساطير الاسرائيلية ؛ فقد أستعصت على الرسول من قبل ولم يتمكن من هضمها وتمثيلها كما تبدو فى تضاعيف القرآن ؛ كذلك استعصت على عبد الله بن عباس فلم يقدر على تمثيلها (١) ولم يصاحبه الشيء الكثير من التوفيق فى سعيه . الاّ أن عبد الله بن عباس نجح نجاحاً كبيراً فى التوفيق بين روح عصره

الميثولوجيا الاسرائيلية

---

(١) التمثيل فى علم الفسيولوجيا يفيد تحويل الطعام الى أجزاء حيوية والمعنى هنا مجازى صرف

وتعاليم الاسلام الجامدة كما سنها الرسول . وقد كان عبد الله بن عباس في عمله صورة من آباء النصرانية الأول في أعمالهم في "تاريخ المسيحية" فأنهم شحنوا تاريخ المسيح بمجموعة من الأساطير اليهودية ولم يكتفوا بذلك بل وضعوا على فم المسيح الشيء الكثير من الأمثال الاسرائيلية

والمصادر التي أخذ عنها عبد الله بن عباس معلوماته مجهولة لنا؛ غير أن النظر التنقيدي لمجموعة الأحاديث المنسوبة إليه على أنه راويها لا تترك مجالا للشك في أنها أتت من المصادر اليهودية . فلقد جمع ابن عباس كل ما يتفق والقرآن من الأساطير اليهودية ووضعها على لسان الرسول (١) . ولم يفعل أكثر من ترديد ما في التوراة مستمداً مادته من الأساطير الاسرائيلية التي تجمعت بين دفتي العهد القديم محاكة من حول الاسرائيليات التي في تضاعيف القرآن (٢) .

الرواة والاختلاق

§ ١٩ :- إذا إجتمعت كل هذه القرائن على أن كلاً من أبي هريرة وعبد الله بن عباس (٣) كانا ينتحلان الحديث ويسرفان في الرواية والتكثر منها ؛ وإذا فسدت مروءتهما وأحاطت بهما ظروف مختلفة تحملهم على الكذب والانتحال كان من الحق لنا ألاّ نقبل ما ينقل إلينا من الحديث بواسطتهما (٤) .

ولا يغرب عن البال أن بقية الرواة عدول فمن السهل جداً أن تكشف عن أوجه الانتحال في رواياتهم .

---

(١) ياقوت الحموي ج ٤ ص ٦٥٢ و ٩١٢

(٢) قصة آدم وحواء وأسطورة خلق الانسان وايجاد العالم وقصة نوح والكوميديا التي مثلها الشيطان مع الله والدرامة التي مثلها مع حواء الى أسطورة طرد آدم وحواء ..... الخ

(٣) يشتهر عبد الله بن عباس بأنه من أقدر الناس على تأويل القرآن وتفسيره ومن أحفظهم لكلام العرب الجاهليين ، وذاكرته مضرب المثل وقد كان له مولى أخذ عنه العلم ونقله الى الناس ودس عليه الكثير ، وهو عكرمه . هذا إلى أنه كان يتخذ تفسيره للقرآن واسطة لاختلاق الكثير من الحديث اذ نعلم أن تفسيره كان جريا على الوقائع التي اقتضت نزول الوحي ، هذا الى أن عبد الله بن عباس لم يعاصر الرسول وانما لحق أواخر أيامه فمن المستحيل أن نتصور أنه وعى وقائع الآيات ولا شك أنه كان يعتمد على خياله ويستمد منها مادة ليخلق من حولها وقائع صورية يستند اليها في تفسير آيات القرآن . هذا الى أن اثبات معرفة تفسير القرآن لعبد الله بن عباس لم يكن يخلو من فائدة ، هي تيسير معرفة الكتاب للطلاب ، فاذا اجتمعت كل هذه القرائن كان لامندوحة لنا من الشك في حقيقة الروايات التي أتت مسندة الى عبد الله بن عباس .

(٤) *Sprenger: Das Leben und die Lehre den Mohammed vol 2 p. 35*

الشك فى الحديث

وإذا تضافرت كل هذه الريوب العقلية والدلائل التاريخية كان لا مندوحة لنا من رد الحديث كله . وأنت ترى من هذا البحث أن بحثنا مخالف كل المخالفة لما أتفق عليه المحدثون إذ أن كثرة الحديث فى نظرنا ما بين مرفوض ومشكوك فيه . وهكذا يتزلزل علم الحديث من أساسه وينهار تحت ضربات البحث التاريخى المقارن .

نشأة الحديث

§ ٢٠ :- من المستحسن وقد وصلنا بالبحث إلى هذا المقدار أن نرجع الى الأسباب التى نشأت معها الأحاديث . ومثل هذا البحث يفتح أمامنا أبواب جديدة من البحث ويكشف عن مسائل خطيرة . ولنقف لحظة عند أحد أئمة الحديث الستة ولندقق بمجموعة أحاديثه ولننظر فى أسانيدها . ماذا نجد؟ نجد أن مجموعة الحديث ليست لها صورة ولا وحدة ؛ بل هي اجزاء لارابط يربطها ولا أصل تعود إليها غير أننا لو أدخلنا فى البحث بعض المراجع (١) لوقفنا على حقيقة جديدة الآوهى أن عالم الحديث كان مضطراً الى زيارة مراكز علم الحديث وتلقى الحديث عنها حتى يمكنه أن يعي مجموعة من الحديث . ومقدار ما يعرفه عالم الحديث من الاحاديث تتناسب مع المراكز التى زارها وهذه الحقيقة تدل دلالة قاطعة على أن بعض المدائن فى الامبراطورية الاسلامية كانت مراكز لعلم الحديث . ونحن نقرر ازاء هذا أن كل مدرسة كانت ذات طابع خاص تخالف الاخرى نظراً للاحوال الجغرافية والجنسية والتاريخية . وكانت هذه الاحوال تطبع كل مدرسة بطابع خاص يسمها ويميزها عن غيرها من المدراس .

مراكز الحديث

هذا العامل الموضعى والشخصى يتجلي فى صورة أوضح بين صفحات صحيح الأمام البخارى ؛ فمن المعلوم لنا أنه قام بعدة سياحات استغرقت وقتاً طويلا زار خلالها مدائن الحديث المختلفة وجمع منها الأحاديث وقيد ما ارتآه صحيحاً فى صحيحه واتخذ الموضوع أساساً فى

---

(١) ارشاد السارى الى شرح صحيح البخارى للقسطلانى ص ١/٣٥

تقييد الحديث دون إعتبار الاسناد . إلا أنه يسهل بواسطة الاسناد تقسيم الأحاديث إلى مجاميع ، كل مجموعة استقيت من مدرسة معينة ؛ وإذا ما تمادينا قليلا فى البحث فاننا نجد مجموعة من الأحاديث مشتركة فى معناها واسنادها . وهذا الاشتراك يمكننا من معرفة منشئها وأصلها ؛ فلقد كان لكل صحابى ذكريات عن الرسول وهذه الذكريات هى المادة الأساسية (١) التى نسجت من حولها الأحاديث . هذا إلى أنه من السهل ملاحظة أن الأحاديث تختلف باختلاف الصحابى الذى قامت على ذكرياته لأن للميول الشخصية والخطرات النفسية دخلاً كبيراً ؛ وهذا هو التعليل الصحيح لاختلاف طوابع مدارس الحديث . فنحن نجد مدرسة تطبع الخوارق جبينها بصورة خاصة جلية ؛ وأخرى طابعها الأقاصيص المحاكة من حول شخصية الرسول ؛ وثالثة يطبعها البحث فى العبادات فى أدق تفاصيلها بسيماء تفرقها عن غيرها ؛ ورابعة تتجلى فى أحاديثها روح صوفية وميل للنسك والزهد . من ذلك مدرسة الكوفة والنجف التي يطبعها التشيع لآل على بطابع خاص على مر الأزمان .

ذكريات الصحابة

مدارس الحديث

هذا الطابع الذى يسم كل مدرسة بصورة خاصة تتصل وبعض الصحابة أو التابعين وتدل على الشىء الكثير من طبائعهم ونهج تفكيرهم وقد تكون الأحاديث مختلقة عليهم منتحلة من العصور اللاحقة عصرهم ؛ غير أن الشك لا يتطرق الينا ، أنه كان لكل صحابى طبقة من الرجال تأخذ عنه أصول الاسلام وتعاليمه ؛ وبالطبع سيكون المنتحلون من هذه الطبقة وهم موسومون بطابع الصحابى فتخرج الأحاديث حاملة طابعه مصوّرة نهجاً من صور تفكيره .

طوابع الحديث

§ ٢١ :ـ هنا لك ظاهرة هامة نخرج بها من النظر فى كتب الحديث الآوهى أن أقل الناس معرفة بالنبى وأصغر الصحابة سناً

اكثر الصحابة رواية أقلهم معرفة للرسول

(١) (التاريخ والسيرة النبوية) سلسلة مقالات بمجلة التاريخ التركى سنة ١٩٣٥م للكاتب

والذين عرفوا الرسول فى أواخر أيامه أكثر الناس رواية للحديث. بينما نجد الذين عرفوا الرسول من بدء دعوته ولازموه فترة حياته أقلهم رواية للحديث.

ادراكاتها ونقصانها

حقيقة تكاد لا يستسيغها العقل لأول وهلة؛ لأن هذه الكمية الهائلة من الأحاديث أتت عن نفر توفى الرســـول وهم لم يبلغوا سن الرشد وبطبيعة الحال يعجزون عن إدارك حقيقة الوقائع التى جرت على يد الرسول. وكان الواجب أن نرى شيوخ الصحابة الذين لازموا النبي ووقفوا فى صفه مجاهدين أكثر الناس رواية بحكم مراكزهم ولو ذهبنا نحصى الروايات من كتب الحديث المعتمده لخرجنا بهذا: ٥٣٧٤ حديث لأبى هريرة؛ ٢١٠٠ لكل من عائشة وعبد الله بن عمر ٢١٠٠ لأنس بن مالك؛ ١٥٠٠ لكل من جابر بن عبد الله وعبد الله ابن عباس ونحن نجد أن هذا النفر من الذين تأخر بهم الزمن الى أواخر عهد الرسول ومنهم من لم يتصل بالرسول الاّ بضع سنين. هم الذين رووا الحديث. وهكذا نخرج من دراساتنا بهذه الظاهرة الغريبة.

بماذا نعللها؟

سكوت كبار الصحابة

إن كبار الصحابة صامتون..؛ وقد ذهب البعض الى ان انشغال كبار الصحابة بمهام الاسلام بعد وفاة الرسول شغلهم عن كل شيء آخر؛ حتى رواية الحديث وحقيقة أن هذا زعم قد يتفق وحالة أبى بكر المتوفى سنة ١٣ هجرية فانه كما نعلم عاش سنتين بعد وفاة الرسول وشغلته مهام الخلافة وإخضاع المرتدين وتحريك الجيوش. إلاّ أنه وإن علل إلى حد ما سكوت عمر بن الخطاب المتوفى سنة ٢٣ هجرية وعثمان بن عفان المتوفى سنة ٢٤ هجرية وعلى بن أبى طالب المتوفى سنة ٢٨ هجرية فانه يعجز عن تعليل صمت عبد الرحمن بن عوف المتوفى سنة ٣١ هجرية وعبد الله بن مسعود المتوفى سنة ٣٢ هجرية وغيرهما؛ بل أن صحابيا مثل سعد بن أبى وقاص المتوفى سنة ٣٦ هـ

وأبى عبيده الجراح المتوفى سنة ١٨ ﻫ والزبير بن العوام « توفى سنة ٣٦ هجرية » وخالد بن الوليد ما كان انشغالهم بالفتوحات ليمنعهم عن التحدث عن الرسول ، بل كانت الفرصة مؤاتية لهم للتحدث والمجال أفسح لهم من غيرهم وأسنح إذ كانوا على رؤوس الجيوش العربية الفاتحة ؛ والحرب يتطلب إذكاء روح القتال فى المقاتلين ، وأشد شىء يذكيها ويوقظ ما كمن من القوى ذكر حياة الرسول وتفانيه فى الجهاد وإستماتته فى سبيل نصرة الاسلام . وكان المنتظر أن نرى تفاصيل مغازى الرسول مروية عنهم بحكم اشتراكهم فيها . أما سكوتهم فأمر غير طبيعى وتعليله عندنا أن الحديث لم يكن معروفاً أو أن المسلمين ما كانوا يتنبهون إلى حفظ كلام رسول الله وعندهم القرآن وهو كما يعتقدون كلام الله وهكذا ضاع حديث الرسول من إهمالهم .

الحديث غير معروف فى صدر الاسلام

كيف بدأ الحديث وجوده

§ ٢٢ :- يبدأ علم الحديث وجوده من مبتدأ العقد السادس من القرن الأول للهجرة . يسوقنا إلى هذا القول أسباب عديدة . فالحروب الداخلية والمشاحنات الطائفية دفعت كل فئة من المسلمين إلى ايجاد أحاديث كثيرة عزتها الى النبى لتؤيد به وجهة نظرها وتقيم لنفسها أمام ملأ المسلمين حجة ناهضة . وبذلك انغمر العالم الاسلامى بمجموعة من الأحاديث الكاذبة . والبحث فى الدوافع التى حركت المسلمين إلى اختلاق الحديث وإنتحاله يفتح باباً جديداً فى البحث أمامنا .

الوضع والانتحال وأسبابه

كان الوضع كثيراً والوضاعون كثيرين ، فمنهم من وضع الحديث رغبة منه فى الترغيب والترهيب ، ومنهم من وضع الحديث رجاء أن يوسع من دائرة التشريع الاسلامى ، وعلى كل حال كان الوضع كثيراً يدفع لذلك عوامل كثيرة أهمها الخصومة السياسية (١) بين أنصار علي وأنصار أبى بكر والعصبية بين المهاجرين والأنصار (٢) .

---

(١) شرح ابن أبى الحديد جزء ثالث صحفة ١٣ ، وفجر الاسلام ٢٤٩-٢٥١ .

(٢) *Sprenger: Das Leben und die Lehre den Mohamed. p. LXXXII*

ومن (١) الحق أن نقول أن النبي لم يكد الموت يتطرق الى نفسه حتى اختلف المسلمون من المهاجرين والأنصار من الأوس والخزرج فى الخلافة أين تكون ؟ ولمن تكون ؟.

النزاع بين المهاجرين والانصار

لقد انتصرت قريش والمهاجرون يوم بويع ابو بكر خليفة على المسلمين. وأذعن الأنصار إلاّ نفراً قليلاً لقوة قريش. ولقد كان هذا الاذعان فى الظاهر فقلوبهم كانت موتورة، وعصبيتهم لا تطمئن إلى انصراف الأمر عنهم، فكانوا يتعزون بنصرتهم للنبي وما كان لهم من البلاء قبل موت الرسول وما أفادوا الاسلام بجهدهم من مجد. ولا شك أن قريشا والمهاجرين كانت تقابل هذا بعصبية أشد؛ وهكذا فعلت العصبية فعلها فى تغيير وقائع التاريخ وإنتحال الأحاديث لنصر قضية على أخرى.

ثم عندنا العداء بين بنى أمية وبنى هاشم وكيف تحولت إلى نضال بين الاسلام والوثنية. وأنت تعلم كيف صانع أبو سفيان زعيم بنى أمية النبي وصالحه وأسلم ضمن من أسلم لعل السلطان السياسى يؤاتيه يوماً. وكيف ورث معاوية عن أبيه العداء لبنى هاشم لمن الأوليات لمعرفة النزاع الذى تطاير شررة بين معاوية وعلي بن ابى طالب. هذا إلى أن انتصار معاوية كان انتصاراً لبنى أمية على بنى هاشم أو قل إن أردت الحقيقة عودة السلطان إلى يد بنى أمية.

ولم ينس بنو هاشم أن النبي منهم وأن الاسلام رفعهم فوق هامات العرب فقاموا يبثون الدعوة لأنفسهم واشتدت بذلك عصبية العرب وفرغ بعضهم لبعض وكان من نتائج ذلك افتراق كلمتهم وانتهاء الزعامة فى الاسلام إلى الأعاجم.

العصبية

ثم عندنا العصبية بين العرب والعجم وما كان لها من التأثير فى حياة المسلمين وكانت هذه العصبيات تتشعب وتتفرع وتمتد أطرافها

---

(١) الدكتور طه حسين الأدب الجاهلى ص ١٢٢-١٩٣

وتتشكل بأشكال الظروف السياسية والاقليمية التى تحيط بها . فكان لها شكل فى الشام وآخر فى العراق وثالث فى خراسان ورابع فى الحجاز . وهذه العصبيات جعلت أصحابها يميلون الى انتحال الحديث تقوية لعصبيتها ورفعة لشأنها . وقد أرادت الظروف أن يضيع حديث الرسول لأن العرب لم تكن تكتبه وإنما كانت ترويه حفظاً . ففى حروب الردّة وما عقبه من عصور الفتح ودورات الغزو قتل من الرواة والحفاظ عدد كثير . فلما أطمأنت العرب فى الأمصار أيام بنى أمية وجدت أن معظم حديث الرسول قد ضاع وأقله قد بقى وهى بعد فى حاجة إلى كلام الرسول لتقوّى من أمرها وترفع من شأنها فأخذت تضع الاحاديث وتنتحلها على الرسول .

ضياع الحديث

§ ٢٣ :- لم يكن (١) الوضاعون يرون الوضع نقيصة خلقية ولا معرة دينية ؛ بل أن أساطين (٢) الأدب وجهابذته كانوا ينتحلون الكلام . وهكذا انغمر العالم الاسلامى بأحاديث منتحلة . وأتى علماء الحديث من الطبقة الثالثة ومن خلفهم من أئمة الحديث فاختلقوا للأحاديث التى صادفت هوى فى نفوسهم أسانيد تختلف فى اتصالها واسترسالها وصحتها وضعفها حسب رأيهم فى الحديث .

الانتحال من الوجهة الاخلاقية

هكذا نشأ علم الحديث منتحلا بادىء الأمر ومختلقا سنده فى منتهى الأمر .

§ ٢٤ :- إننى أميل إلى القول بأن الفتح الإسلامى وما أيقظ من الشعور فى الأمم المختلفة التى غلبت على أمرها كانت تكئة لإنتحال الحديث وإيجاده .

الفتح الاسلامى

توفى النبىّ سنة ١١ هجرية بعد أن دانت العرب لسلطانه الزمانى وبعد أن خضعت القبائل البدوية لسلطته الدنيوية والأخروية ؛ المادّية

الرسول

---

(١) الأستاذ احمد أمين : فجر الاسلام صحفة ٢٤٩ .
(٢) الدكتور طه حسين : فى الأدب الجاهلى صحفة ١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٨٥ . الخ

والروحية . ولم يستطع العرب منذ ظهر الاسلام أن يخلصوا من تأثير الدين الإسلامى لحظة من لحظات حياتهم فى القرنين الأول والثانى ؛ فخضعوا لروحه المدنية والدينية . وكان الأسلام يقرر توحيد العرب وأنت تعلم كيف تمكن محمد من أن يوحد العرب وكيف جاهد جهاداً عنيفاً مع قريش وأوليائها بعد أن تكوّن له حزب سياسى قوى هاجر به من مكة إلى المدينة . وكيف أن الخلاف بينه وبين القريشيين اعتمد فى حله على القوة والسيف بعد أن كان من قبل دينيا يعتمد على النضال بالحجة . ونحن نريد أن نصل مسرعين إلى ما يعنينا من هذا كله وهو توحيد العرب ، فالسيرة تحدثنا أن النبى جاهد جهاد الأبطال فى لم شعث القبائل العربية واخضاعها لسلطانه . وكان توحيد العرب ضربة أليمة لخصائص هذا الشعب وكبتا لطبيعته الهمجية التى لا تعرف غير التشتت والتفرق سلطانا على نفسه ، وغير القتال والطعان والسلب والنهب طبيعة له .

الاسلام والعرب

لقد أقام (١) الإسلام وحدة الدولة مقام وحدة القبيلة ، ووجد العرب أنفسهم غير قادرين على غزو بعضهم بعضاً وخصوصاً وقد أجتهد الرسول أن يقيد حريّة الغزو بينهم . ولما كان الغزو عند العرب هو الوسيلة الرئيسية لتوزيع الثروة ، ولما كان العرب من طبيعتهم يميلون إلى الغزو وما يتبعه من الأمجاد والأسلاب (٢) الحربيّة ، ويودّون لو يدبرُوا منصرفا الى قوتهم الحربية ، لذلك أجبروا على ان يغزوا البلاد المجاورة على الحدود (٣) السورية . وأحس النبى بثاقب نظره أن يصرف هذه القوى فى زيادة شوكة الإسلام وإخضاع

---

(١) مذكرة دى غوبى صحفة ٤ .

(٢) القرآن « وتأليف القلوب » راجع لامنز ج ١ ص ١٧٥ .

(٣) فتوح العرب راجع مجلة العصور مجلد ٧ عدد ٢٣ ص ٢٤ . « اسمعيل مظهر »

جنوب بطاح سوريا لسلطانه (١) ، والا لحطم هذا الشعب كل ما بنى وشيد ورجع إلى حياته البدوية الأولى .

جهز النبي جيشاً لفتح شمال جزيرة العرب وجعل عليه مولاه اسامة أبا زيد أميراً « توفى سنة ٤ هـ » ولكنه توفى وخلفه أبو بكر أقرب الصحابة إلى نفس الرسول أميراً للمسلمين وخليفة للرسول

وفاة الرسول

مات النبي فارتدت معظم القبائل العربية عن الاسلام وعادت لحياتها الماضية من الحرية والاستقلال والحرب والطعان إلاّ أن أبا بكر جرد عليهم جيشاً لجبا بقيادة خالد بن الوليد فتمكن بعد حروب شديدة أن يخضع العرب لسلطة أبى بكر وأن يعود بهم إلى أحضان (٢) الاسلام .

حروب الردة

ولم تكن حروب الردّة الاّ حربا ضد طبيعة العرب وهى إن دلت على شيء فانما تدل على أن العرب لا يعرفون وحدة الدولة ولا يعيشون الاّ عشائر وقبائل يغزو بعضها البعض وبالغزو تتحصل على الثروة بما يتبعه عادة من الأمجاد والأسلاب . وأنتصار أبى بكر كان انتصار وحدة الدولة على وحدة القبيلة وبالتالى كبتا لنفسياتهم . ولهذا نرى اندفاع هذا الشعب فى بطاح سوريا وفلسطين ووديان ما بين النهرين بشدة ترجع إلى انفجار قواه الكامنة . ولم يكن للنبى ولا لخلفائه فكرة واضحة لاستعمار البلاد المجاورة وفتحها وإدخالها تحت

---

(١) لم يفكر محمد فى غزو العالم ولا فتح سوريا بل كان جل اهتمامه موجها لتقوية دعائم الدين الاسلامى وملاشاة العصبية بين العرب ويستحسن أن تنظر :

(1) *Leone Ceatani : Annali dell' Islam. p. 725* (2) *: Grimm : Mahomet vol 1 p. 391,* (3) *Goldziher: Muhammedanische Studien., vol 3 p. 73-74.*

(٢) حروب الردة وخالد بن الوليد ـ مجلة الرسالة عام ١٩٣٤ ـ سلسلة مقالات للفريق طه باشا الهاشمى وكذا انظر Carl. H. Becker p. 334. ونكلسون ص ٣٣ وكايتانى مجلد ٣ ص ٩١١

راية الاسلام وبناء مملكة كبيرة وأن كان معظم مؤرخي (١) العرب يزعمون أن النبي كان يحلم بتأسيس أمبراطورية ضخمة فان الوقائع تثبت خطل زعمهم وبعـــدها عن الحقيقة فان النبي توفى ولم ينظر إلى ما وراء حدود بلاد العرب وأن ما أرسله إلى شمال الحجاز من الحملات (٢) كان كاحتجاج ضد دولة الغساسنة . وقد مثل الخليفتان أبو بكر وعمر تردد الرســول ، وإذا كانوا قد تدخلوا فى امر الغزوات ، فذلك لأنهم ارادوا بذلك أن يمنعوا أستفحال امرها واتساع نطاقها غير انهم فشلوا أمام قوة الغزو التى استيقظت عند البدو طامحة إلى الأسلاب والأمجاد ، وهكذا جرتهم الحوادث إلى ما كانوا لا يتوقعونه (٣).

أخذ الزمان يمر سريعاً والحوادث تتوالى ودرات الفلك تتعاقب وإذا بأبى بكر يموت وعمر بن الخطاب يرتقى عرش الخلافة . ونرى فى عهده مدائن سوريا والعراق تسقط واحدة إثر أخرى أمام هجوم جحافلة العرب .

كانت الحوادث والزمان يفعل فعله بصحابة الرسول ويقذف بهم واحداً وراء واحد إلى الموت ، وكانت صفوف الصحابة تنثنى كل عام وتنثلم عن وفاة عدد كبير من الصحابة .

فتح مدائن سوريا

أخذت مدائن سوريا والعراق تدين للعرب وأخذ أبناء هذه البلاد يدخلون الاسلام ليتمتعوا بالامتيازات (٤) التي أعطاها الاسلام لمن أسلم منهم .

ولا ريب أن انهماك العرب بالفتوح وتمصير البلدان جعلت

---

(١) الواقدى ج ١ ص ٢ و ٣ والطبرى ٢٠٧٧ ـ ٢٠٧٩ البلاذرى ١٠٧ ، اليعقوبى ج ٢ ص ١٤٩ ، ابن الأثير ج ٢ ص ١٥٤ ؛ دحلان ج ١ ص ٢١ .

(٢) ابن هشام ج ١ ص ٢٠٣ الخ ومهد الاسلام لبيكر ج ١ ص ١٧٦ .

(٣) بيكر : فتوح العرب ص ١١٣

(٤) بندلى الجوزى : من تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام ص ٤٠-٤٤ بيت المقدس ١٩٢٨ .

الأموال تتدفق إلى شبه جزيرة العرب، كما وأن هجرة القبائل العربية من مواطنها فى شبه الجزيرة إلى أطراف الامبراطورية الاسلامية . واتخاذ عواصم جديدة للملكة العربية خارج شبه جزيرة العرب ساعد على انتقال الحركة الفكرية من مكة والمدينة إلى غيرهما من المدن العريقة فى التمدن ومن العرب إلى الأعاجم ولم يكن العرب قد فتحوا البلاد وملكوا الأمصار إلا بالحرب وقد نجحوا فى نشر الاسلام فى الأمم المغلوبة على أمرها، ودخول هذه الأمم الاسلام جعلهم يخضعون لروح الاسلام الدينى والاجتماعى. ولم يكن هؤلاء الأمم إلا أبناء تاريخ مجيد وحضارات تليدة فى مجدها فسرعان ما رأيناهم قادة المدنية الاسلامية فى ساحات التفكير والحضارة (١). ذلك لأن هذه الأمم أقدر على التفكير من العرب وأعرق فى الثقافة والحضارة والظروف المؤاتية لتأسيس الحضارات كانت متوافرة بينهم، والمراد بالظروف هنا حالة البلاد الاقتصادية والأدبية ومزايا العنصر وغرائزه وملكاته وما أوتى من نشاط ومقدرة على الابداع وتأثير مناخه وموارده الطبيعية والصناعية واختباراته التقليدية والمكتسبة واذواقه الفنيّة ونظامه السياسى والأقتصادى وصفات المجتمع، إلى آخر ما هنالك مما لا ينبغى اغفاله.

المسلمون الجدد والاسلام

دخل أبناء هذه الأمم الاسلام وهم يحملون فى تضاعيف عقولهم مرونة فكرية، وبين ظهرانيهم كانت مذاهب دينية متعددة فى انتشارها من الوثنية إلى المسيحية إلى النسطورية واليعقوبية(٢). وكانت عقولهم تحمل فى طياتها بذور المدنية اليونانية كما نقلها لهم اليعاقبة. ولم تخل أذهانهم من منازعات ستة قرون فى المسائل الدينية.

دخلوا الاسلام فلا شى كل هذه المظاهر من عالم الشعور ولكنه لم يقدر على ملاشاتها من طيات النفس وعالم اللاشعور. فأثرت هذه

(١) *Alfred Von Kremer:- Culturgeschichte des Orient unter den Chalifen vol 2. p. 127.*

(٢) اسماعيل مظهر : تاريخ الفكر العربى ـ القاهرة ١٩٢٨ ص ٢٠٣

العوامل على مر الزمان عن طريق غير شعورى فى تعاليم الاسلام فظهر الحديث وعلم الكلام .

عصر معاوية

§ ٢٥ :- إن الإسلام فى الفترة الواقعة بين عامى ٤٠ هجرية و ٥٠ هجرية ؛ أعنى بعد عصر معاوية هامة كل الأهمية وذات حوادث دقيقة ولقد انصبت كلها فى تضاعيف المدنية الاسلامية فاوجدت علم الحديث وتمخضت عن علم الكلام . ولقد كانت الفتن الداخلية أيام عبد الملك ابن مروان وابنه الوليد إلى حد ما مخمدة من هذه الحركة التى تمخضت عن الحديث إلا أنها من جانب آخر أخذت تستعيد أهميتها وأخذ التدقيق والتفكير يشمل مناحى العالم الاسلامى بتأثير المسلمين الجدد من الأعاجم الذين حملوا إلى الاسلام معهم روحاً من الحياة لم تألفها وهى فى فلوات شبه جزيرة العرب ، واستيقظ عندهم شعور قوى لمعرفة ماذا قاله النبى وبماذا كان يتحدث إلى أصحابه وعن هذه الفواعل تمخض الجيل الأول عن الحديث .

هذه الخطوط الأساسية هامة لأن نستخلص منها نتيجتين هامتين يحبوهما النقد الحديث بنتائجه وهما :

الاول - علم الحديث نشأ فى زمان متأخر عن عصور صحابة الرسول الذين عرفوه حق عرفانه .

الثانى - نشأ علم الحديث من روح المدنية التى حملها إلى الاسلام المسلمين الجدد .

أبا سلمون

(١) *Leone Ceatani : Annale dell' Islam., vol 1 p. 785.*
ومهد الاسلام للعلامه *Lammens* ج ١ ص ٣٥٧

سجل المراجع

§ ١ : المراجع العربية.

(١) أسامى رواة صحيح البخارى : للسيد بن حسن المعروف بصوفى زادة وفيه ١٤٤٢ من الأسماء مرتبة حسب حروف المعجم — نسخة فى مجلد طبع الأستانة سنة ١٢٨٢ هـ.

(٢) الإستيعاب فى معرفة الأصحاب : لأبى عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ؛ مجلدين ؛ حيدر آباد ١٣٠٩ هـ.

(٣) أسد الغابة فى معرفة الصحابة : لعزّ الدين ابى الحسن علي بن محمد ابن الجزرى المعروف بابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ؛ خمسة أجزاء ؛ القاهرة ١٢٨٠ هـ.

(٤) اسعاف المبطا برجال الموّطأ : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى المتوفى سنة ٩١١ – نسخة طبعة القاهرة ١٣٥٣هـ.

(٥) إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى لشهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب القسطلانى المتوفى سنة ٩٢٣ فى عشر مجلدات طبع بولاق من سنة ١٣٠٤ إلى سنة ١٣٠٦ وعلى هامشها صحيح الإمام مسلم وشرحه للنووى .

(٦) الإصابة فى تمييز الصحابة : لشهاب الدين أحمد بن حجر الكنانى العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ ؛ أربع مجلدات طبع القاهرة ١٣٢٨ هـ

(٧) الأصنام : لأبى المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤ ﻫ ؛ فى مجلد طبع القاهرة ١٩٢٤ بعناية العلامة أحمد زكى باشا .

(٨) الأغانى : لأبى الفرج على الأصفهانى ؛ طبعة بولاق ١٢٨٥ هجرية فى جزئين .

(٩) بلوغ المرام من أدلة الأحكام : لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى خط يد من سنة ٨٨٠ ﻫ .

(١٠) البيان والتبيين : لأبى عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ ؛ نسخة طبعة ليدن سنة ١٩٠٣ ﻫ .

(١١) تاريخ الحركات الفكرية فى الإسلام : للبروفسور بندلي الجوزى ؛ نسخة من طبع القدس سنة ١٩٢٨ م .

(١٢) تنوير الحوالك شرح علي موطأ مالك : لجلال الدين السيوطى ؛ نسخة طبعة القاهرة ١٣٥٣ ﻫ .

(١٣) تاريخ آداب العرب : للأستاذ مصطفى صادق الرافعى ؛ القاهرة ١٩١٢ ميلادية .

(١٤) تاريخ الفكر العربى للعلامة الأستاذ اسماعيل مظهر ؛ القاهرة ١٩٢٨ ميلادية .

(١٥) تذكرة الحفاظ فى اسماء الرجال : لشمس الدين محمد بن احمد الذهبى المتوفى سنة ٧٤٧ ﻫ — ٤ أجزاء طبعة الهند .

(١٦) تعجيل المنفعة برواية رجال الأئمة الأربعة : لشهاب الدين احمد ابن حجر العسقلانى — نسخة طبع الهند سنة ١٣٢٤ ﻫ

(١٧) تقريب التهذيب فى أسماء الرجال للعسقلانى ؛ طبع الهند سنة ١٣٠٨ وبهامشها المغنى فى اسماء الرجال وضبطها لجمال الدين محمد ابن طاهر الفتنى .

(١٨) تهذيب التهذيب : للعسقلانى ؛ وهو مختصر تهذيب الكمال فى أسماء الرجال لحافظ جمال الدين يوسف المزّى الدمشقى ؛ فى ١٢ مجلد طبع الهند ١٣٢٦ — ١٣٢٧ ه .

(١٩) التمهيد لإبن عبد البر نسخة من طبعة لينغراد سنة ١٩٣٥ باشراف الكاتب

(٢٠) جامع الترمذى : وهو صحيح الإمام أبى عيسى محمد الترمذى المتوفى سنة ٧٢٩ طبعة بولاق فى مجلدين سنة ١٢٩٢ ه .

(٢١) الجامع الصحيح : لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ - ٨ أجزاء طبعة بولاق ١٢٩٦ ه ؛ وطبعة *Krehl* بليدن ١٨٦٢ .

(٢٢) الجامع الصحيح : لأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى المتوفى سنة ٢٦١ ه ؛ طبعة بولاق فى مجلدين سنة ١٢٩٠ ه .

(٢٣) الجرح والتعديل : للشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقى ؛ القاهرة ١٣٣٠ ه .

(٢٤) دائرة المعارف الاسلامية : يقوم بترجمتها جماعة من الشبان فى أجزاء دورية « ١٩٣٣—١٩٣٦ » .

(٢٥) دائرة معارف القرن العشرين : لمحمد فريد وجدى ؛ ١٠ مجلدات .

(٢٦) رجال صحيح الامام مسلم : للحافظ أبى بكر احمد بن على بن منجويه الأصفهانى المتوفى سنة ٤٢٨ ه خط يد من سنة ٦٦٠ ه .

(٢٧) الرسالة : مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون ؛ يشرف على تحريرها الأستاذ احمد حسن الزيات ، وتصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر أربع مجلدات .

(٢٨) سنن ابن ماجة : لأبى عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزوينى المتوفى سنة ٢٧٣ ه - طبعة القاهرة فى مجلدين سنة ١٣١٣ ه .

(٢٩) سنن أبى داوود : لأبى داوود سليمان بن الأشعث بن اسحق الأزدى السجستانى المتوفى سنة ٢٧٥ ه . القاهرة ١٢٨٠ ه

(٣٠) سيرة رسول الله : لعبد الملك بن هشام المتوفى سـنة ٢١٣ هـ ؛ طبعة جوتنجن ١٨٥٩–١٨٦٠ م بعناية المستشرق المشهور وستنفلد .

(٣١) السيرة النبوية والآثار المحمدية : للسيد احمد بن زين الدين الدحلان طبعة القاهرة سنة ١٣٠٨ هـ . على هامش السيرة الحلبية ؛ فى ثلاثة أجزاء .

(٣٢) طبقات الحفاظ : لجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ خط يد

(٣٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى : للعسقلانى ؛ فى ١٤ مجلد طبعة بولاق من سنة ١٣٠٠ إلى ١٣١١ هـ .

(٣٤) فجر الاسلام : للأستاذ العلامة أحمد أمين ؛ القاهرة ١٩٢٨ م .

(٣٥) الفهرست : Kitab Al-Fihrist., Hgg. von. G. Flügel. Leipzig : 1872. voll 1 und 2.

(٣٦) فى الأدب الجاهلى : للاستاذ الدكتور طه حسين : القاهرة ١٩٢٧ م .

(٣٧) كتاب العبر وديوان المبتدىء والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر . للعلامة ابن خلدون ؛ طبعة بولاق فى ٧ مجلدات سنة ١٢٨٤ هـ .

(٣٨) الكاشف فى أسماء الكتب الستة والسنن الأربعة لشمس الدين محمـد ابن أحمد الدمشقى الذهبي المتوفى سـنة ٧٤٨ هـ ، نسخة خط يد

(٣٩) لسان الميزان . لابن حجر العسقلانى - ٣ مجلدات خط يد من سنة ١١٣٢ هـ . موجودة تحت رقم ١٠٢٢ ب بمكتبة بلدية اسكندرية

(٤٠) ماهية التاريخ : من ضمن معضلات المدنيّة الحديثة للعلامة المحقق الأستاذ اسماعيل مظهر ، القاهرة ١٩٢٨ م .

(٤١) المعرفة : مجلة شهرية أدبية علمية يشرف على تحريرها الأستاذ عبد العزيز الاسلامبولى ٦ مجلدات القاهرة من ١٩٣٠ — ١٩٣٤ .

(٤٢) معرفة أنواع علوم الحديث : لأبى عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوى المعروف بابن الصلاح المتوفى بدمشق سنة ٦٤٣ هـ - القاهرة ١٣٢٦ هـ .

(٤٣) المقتضب من كتاب جمهرة النسب لياقوت الحموى مختصراً عن جمهرة النسب لأبى المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى، مخطوط فى ١١١ ورقة موجودة بدار الكتب الملكية بالقاهرة تحت رقم ٧٥٣٥ عمومية.

(٤٤) المقتطف: مجلة شهرية علمية أدبية صناعية؛ يشرف على تحريرها الأستاذ فؤاد صروف الآن وكانت قبل عام ١٩٢٧ تحت اشراف المرحوم العلامة المحقق الأستاذ يعقوب صروف، ٨٨ مجلد طبعة بيروت والقاهرة الى سنة ١٩٣٦.

(٤٥) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال: لأبى عبد الله محمد بن احمد التركمانى الفارقى الذهبى الدمشقى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ - طبع الهند فى مجلدين سنة ١٣٠١ هـ

(٤٦) نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر: تأليف العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ - طبع الآستانة سنة ١٢٨٨ هـ.

(٤٧) انسان العيون فى سيرة الأمين المأمون: لنور الدين على الحلبى. طبعة القاهرة سنة ١٢٨٠ هـ فى ٣ مجلدات.

---

§ ٢ :- المراجع بالواسطة: مارجع اليها بواسطة المراجع الافرنجية

(٤٨) الأزرقى: Geschichte und Beschreiburg den Stadt Mekka, Von Abdul Valid Muhammed ebn abdallah el-Azraki., Hgg. Von Ferd Wustenfeld· Leipzig 1858.

(٤٩) المسعودى: Les Prairies d'ortexte et traduction par Barbier de Meynard et Povet de Courteille. paris 1861-1877,

(٥٠) المستوفى: Tarihhé Gozidé par Hamd Allah Mosťoufi Pazvini., texte publie par jules Gantin. Paris 1903,

§ ٣ : المراجع الافرنجية :

(51) Prince Leone Caetani : Annali dell'Islam, 5 vols., (Milano 1905 - 1913)

Studi di Storia Orientale :-

I : Islam e cristianesimo. L'Arabia preislamica. gli Arabia Antichi., 1911.

III : La biografia di Maemetto profeta ed uomodi stato. II : principo del califfato. La conquista d'Arabia 1914., 2 & vols. In-8°., Milano.

له ئه قائتانو : اســـلام تاريخى ؛ مترجمى حسين جاهد بك ؛ ١٠ جلد ، طنين مطبعه سى ، استانبول ١٩٢٤ - ١٩٢٥

(52) Ignaz Goldziher : Muhammedaniche Studien., von I. G., Halle 1889, 1890., 2 voll,

(53) Sir william Muir : The Life of Mohammed., London 1858-1861., 4 vols.

(54) A. Sprenger : Das Leben und die Lehre den Mohammed., nach bischer grosstentheils unbenuzten Quelen., bearbeitet. Von. A. S. Zweite Ausgabe., Berlin Nicolaische Verlagsbuchhanlung., 1869., 3 voll.

(55) D. S. Margoliouth : Mohammed and The Rise of Islam., 3rd ed., London 1923.

(56) Grimme : Darstellungen aus dem Gebiete der nichtchrisitlichten Keligionsgeschichte. vll und xl. Muhammed,, Von Hubert Grimme. Münster. I. W. 1892. (I :- Theil : Das Leben , II :- Einleitung in den Koran System der Koranischen Theologie.)

(57) Hirschfeld: Asiatic Monographs. vol. III. New Researches into The Compsition and exegesis of The Qoran, by Hartwring Hirschfeld. Ph. D., M. R. A. S., 1902.

(58) Thomas Atrik Hughes : A dictionary of Islam , Second Edit., London. Allen. and Co., 1896.

(59) Journal Asiatique. publie de la Societé Asiatique, paris 1822-1803.

(60) The journal of The Royal Asiatic Society of Great Britain and Irealand. Several volumes. London 1834-1930.

(61) The journal of The Royal Asiatic Society of Bengal Calcutta 1832-1903.

(62) journal Orientale: publie de la Societé Orientale de Russie., Moskow., 1925-1935.

(63) A. Mûller: Der Islam im Morgen und Abendland., Berlin 1885., 2 voll

(64) Noldéke (Th) : Geschichte des Qôrans von. Th. N. Gottingen 1860.

(65) A General History of The Muhammedan Dynasties of Asia from 194 H. to 658 H. by Maulana Minhaj-ud-den abu-Umar ibn Osman., trans. by Major H. G. Raverty. London 1881., 2 voll.

(66) Weil " Gustav " : Geschichte der Chalifen., Mannheim Stuttgart 1846-1862., 5 voll.

(67) Wellhausen (j.) Reste Arabischen Heidentums gesammelt und erlautet von J. W. Zweite Ausgabe. Berlin 1897.

Skizgen und Vorarbeiten :-

Viertes Heft : 1 : Medina vor dem Islam., 2 : Moham meds Gemeindeordnung von Medina; 3 Seine Schreinben, und die Gesandschaften an ihn. Berlin 1889.

(68) Zeitschrift der Deutschen Morgenlândischen Gesellschaft Leipzig 1846-1903.

(69) Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes. hgg. Von Ewald Goheletz., Kosegarten, Lassen, etc Gottingen 1837-1850., 5 voll.

(70) Orient. Moskow 1930-1935 - 10 voll

(٧١) تورکیا تاریخ مجموعه سی ١٩١٠ — ١٩٢٧ (١٧ جلد)

(٧٢) ثروت فنون مجموعه سی (نوسالی) أحمد إحسان (٣٥ جلد)

(٧٣) Tarih Maçmüasi., 1927-1935 (10 Gilt)

(74) Eaham (I. A.) Das Leben und die Lehre den Mohammed., Lepzig 1935., 1 vol p. Fischer.

(75) « « Islam Tarihi., 1935-1936 2 çilt (U. P.) Istanbul

كلمة ختامية

هذا البحث نشر أولا كمقال فى مجلة المعهد الروسى للدراسات الشرقية باللغة الروسية ، كما وأنه نشر مع شيء من الاختصار فى كتابى « تاريخ الاسلام » باللغة التركية ؛ هذا الى أن مجلة *Orient* التى تصدر عن موسكو نشرتها باللغة الفرنسية مع تعليقات لبعض المستشرقين الروس ، وجـــزء منه مع شروح مستفيضة نشر فى *Cahier Arabe* بالروسية ؛ هذا إلى أنى أرسلته الى احدى المجلات الأسبوعية الأدبية فى مصر لنشره فاعتذرت وأخيراً بعثت به إلى إدارة مجلة « المقتطف » فوعدنى الأســـتاذ الفاضل فؤاد صروف بنشرها بالمقتطف الصادر فى أول ابريل سنة ١٩٣٦ م . وما بعثت به الى دار المقتطف فصل كامل فى ١٢ فقرة هى شرح الفقرات الثلاث عشر من هذه الرسالة . كما وأنى سأقدم بهذه الرسالة كتاب الحديث "*Tradition*" الذى اشـــتركت فى وضعه مع جماعة من كبار المستشرقين فى اللغتين العربية والانجليزية . وأنتهز هذه الفرصة لأنوه بفضل الأستاذ محمـــد فرحات فى مشاركته لى تحقيق التراكيب من حيث اللغة لأننى الدخيل . وأرجو أن أكون وفقت إلى ما أرجو ؛ فليس للمرء الا أن يسعى وسعيه سوف يرى .

٣١ مارس سنة ١٩٣٦ م

للمـــؤلف

1: Die Grundlangen der Relativitaetstheorie., populaerwissenchaften dergestellt., Mit. 45 Figuren.

3: Aufl. Leipzig 1934. Berlin 1935 und Leipzig 1936. 3 vols. Gustav Fischer: 1200 Mark.

2: Mathematik und Physik., Mit 350 Figuren., 2 vols. Leipzig 1935. Gustav Fischer: 175 Mark.

3: Das Leben und die Lehre den Mohammed., Leipzig 1935., 1 vol. Gustav Fischer: 150 Mark.

4: Islam Tarihi., Istanbul., 1935 - 1936 - 2 çilt. (u.p.): L. T. 5

(٥) من مصادر التـــاريخ الاسلامى ، الاسكـندرية ١٩٣٦ . ١٠ صاغ

عن قريب

1: Arabien vor dem Islam. "3 voll."

(٢) حياة محمـــد ونشأة الاسلام « ٦ مجـلدات » الأول .

(٣) نظرية النسبية وقيمتهـا العلميـة « مجـــلدين » الأول .

(٤) الحـــديث « مجـــلدين » الأول .

حياة محمـــد ونشأة الاسلام

٦ أجزاء فى ٣٠٠٠ صفحة

الكـتاب الأول من نوعه بنظرته التحليلية لحيـاة الرسول
وتاريخ نشأة الاسلام ؛ وفى تضاعيفه تكمن فاسفة التاريخ كما يراها المؤلف .

وضعهـا بالعربية

دكتور اسماعيل أحمد أدهم

مؤلف

Das Leben und Die Lehre den Mohammed.

الذى يقول عن أبحاثه فى حياة الرسول المستشرق كازميرسكى : —

أن أبحاثه من أدق الأبحاث وأطلاها وأكثرها
ابتكاراً وأعمقها فكرة وأدقها تحليلا ولا عجب
فكتابه عن «حياة محمد» تعتبر محوراً جديداً يدفع
العقل الانسانى إلى مناحى فى التاريخ الاسلامى
جـــديدة .

كما وأن العلامة بارثولد W. Barthold عضو أكاديمية لينتغراد العلمية قال عنه :

مباحثه فى حياة الرسول من خير ما كتب الباحثون وتتجلى
لك قدرته الشخصية فى نقده المصـادر التـاريخية واجلاء
المسائل الغامضة فى بحوث تحليلية دقيقة

عن قريب (يناير ٩٣٧)

الجزء الأول فى ٥٠٠ صفحة من القطع الـكبير

مع مقدمة وجدول الفهارس وقائمة للمصـادر فى ١٦٠ صفحة مستقلة
مطبوعة على ورق فخم ومغلفـــة بغلافة فنيـــة بديعة من عمل ليبزج

الجزء الأول

يبحث فى تاريخ العرب قبل الاسلام استناداً الى الاكتشافات الأثرية الأخيرة . وفى هذا البحث يتناول الكاتب العرب بالتحليل الاثنولوجى ويدرس أصولهم فى قلب شـــبه الجزيرة . كما وأنه يبحث كلمة عرب ويتناولها بالتحليل اللغوى . ويتقدم هـذا البحث فصل مسهب فى جغرافية جزيرة العرب ويتلوه بحث فى العرب البائدة والعاربة والمستعربة مع فصول مستفيضة يدرس فيها أحوال العرب الدينية والاجتماعية والسياسية . ويدحض الكاتب فكرة ذهاب ابراهيم إلى الحجاز مع ابنه اسماعيل ونشأة العرب المستعربة من نسله . ومن كل هذا يتطرق إلى مصادر حياة الرسول بالنقد ويكشف عن اضطراب أصول علم الحديث وقواعد السيرة ويتناول القرآن ببحث ضاف فى جمعه وترتيبه وتدوينه . ويبحث فى علم الأنساب من وجهة عامة ثم ينقد نسب الرسول ويكشف على أنه لم يكن من نسل عبد المطلب . ومن كل هذا يتقدم إلى ميلاد الرسول وطفولته ونشأته حتى زواجه من خديجة

وهذا الجزء بمثابة مقدمة

أولية لفهم سيرة الرسول على الوجه التحليلى الأتم وادراك عوامل نشوء الدين الاسلامى فى فيافى الجزيرة .

أعتمد فى كتابته على دراسة مستضيفة للمؤلفات الاسلامية والدراسات الافرنجية عن حياة الرسول .

الاشتراك فى الجزء الأول ٥٠ قبل الطبع

١٠٠ بعد الطبع

ويقبل الاشتراك على خمســـة أقساط شهرية متساوية ترسل للمؤلف : شارع موطشى باشا رقم ٢٣ . اسكندرية .